روايات رومانسية عالمية

عبير



جانيت ديلي

ممر الشوق

مكتبة زهران

روايات رومانسية عالمية

عبير

ممر الشوق

لا شيء
يسمم حياة الانسان مثل
الشك حين يقع المرء في دوامة الشك
تنقلب يومياته الى جحيم... جاسيكا الفتاة المرهفة،
الرقيقة تحول عمرها الى غليان حين شكت بعواطف
برودي نحوها في صباه حاول برودي الزواج من شقيقتها
جوردانا ولكنها رفضته لأنه شاب فقير ومن عائلة متوسطة. اما الآن
وبعد سنوات طويلة عاشها برودي مهاجراً جامعاً ثروة. فهل محت
الأيام حبه القديم ؟ ام انه عاد لينتقم من الفتاة التي رفضته فقيراً
بالزواج من شقيقتها الصغرى؟ جاسيكا حائرة، هل هي ضحية ...ام
وسيلة يستعملها برودي للانتقام من اختها ؟ عواطفه، هداياه،
والنزهات ...كل هذه الأشياء الجميلة أتكون طعماً يقربها من
المصيدة؟ كيف تكتشف الحقيقة، وأين تجد حلاً لمشاكل
قلبها؟ انها تحبه وتكرهه في اللحظة نفسها،
تريده وتهرب منه. كيف تتخلص من
شكها القاتل ؟

مكتبة زهران
جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٣٧٨٦٤١٨

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
SENTIMENTAL JOURNEY

١ - عابر سبيل

الشمس تسطع في وسط السماء، لتزفّ بشرى اقتراب الربيع، والأشعة الذهبية تصطدم بالرياح الشمالية القارسة، فتمتزج بأنفاس الشتاء الباردة.

فجأة، هبّت عاصفة هوجاء، فتصاعد الغبار ولفّ الشوارع، واشتدت وطأة الازدحام عند تقاطع الطرق.

مشت جاسيكا ثورن وحيدة على الرصيف، تجيل طرفها عبر زجاج المخازن. وهي ترتدي معطفاً أخضر، وقد فكّت ازراره قليلاً كي تترك النسيم يتغلغل الى جسمها الناعم.

أحكمت رباط حقيبة يدها على كتفها. وأعادت يدها الى جيب معطفها. فراح الهواء المزعج يعبث بشعرها الأشقر الحريري،

وتداعب خيوطه الذهبية وجهها الأملس. ولم تشأ جاسيكا ان تصفف شعرها المبعثر على الفور. فلم العجلة؟ ستعيد تمشيطه عندما تأوي الى مكتبها وتستريح.

واضطربت نظراتها الموجهة نحو هضاب تانيسي المتعالية عند شاتانوغا. هناك كان الربيع يتجلى من خلال الظلال الوارفة على السفوح. فقد اخضرت اوراق الشجر وكست الأعشاب الأرض وبدا تجدد الحياة واضحاً، بعدما تفتحت براعم الورود المظللة بالخضار لتعد المتنزهين بتشكيلتها الزاهية.

كانت جاسيكا غافلة عن هذا الجمال، شاردة في أحلام طفولية حين اصطدم كتفها بسيدة تعدو بخطوات مسرعة.

«عفواً سيدتي».

لكن السيدة لم تفطن لها، بل تابعت سيرها بدون انتباه.

عند تقاطع الطريق، اندفع الضوء الأخضر من الاشارة الضوئية، فخفّت جاسيكا مسرعة. لكن ما ان بلغت فسحة العبور حتى بان اللون الأصفر ولم يعد بامكانها التقدم. فأخذت السيارات تتلاحق، وكان عليها ان تنتظر مع بقية المارة عند حافة الرصيف. هناك لفت انتباهها رجل ممشوق القامة، وقف الى جانبها بكامل أناقته.

حاولت أن تتذكر وجهه لكن الهواء عبث بشعرها المتدلي من جديد. وسرعان ما عادت الصورة غامضة الى مخيلتها فنفذت نظراتها الى وجهه المتجهم. وحدقت الى سمات القساوة في ثناياه وقالت لنفسها: «هذه الشخصية ليست غريبة عني. لقد التقيتها قبل لكني لا أستطيع أن أحدّد أين. فهذا النوع من الرجال لا ينسى بسهولة... أنه وجه من الماضي رسم الزمن التجاعيد حول عينيه وفمه، وناهز الخامسة والثلاثين. وبسبب عمره تأكدت أنها لم تلتق به على مقاعد الدراسة فهي لم تتجاوز الثالثة والعشرين بعد.

ما الذي تبدل؟ المحيط الذي عرفته فيه، أم الملابس التي كان يرتديها؟ بدلته القاتمة الثمينة صممت على يد أشهر الخياطين. وقد بدا مرتاحاً بمشيته مما يدل على أنه اعتاد على هذا النوع من الملابس.

لم يسبق لها أن رأته بمثل هذه الأناقة يوم عرفته أيام زمان. ماذا كان يرتدي؟ تعذرت عليها الأجابة على هذا السؤال.

حين لاحظ الرجل أنها تتفحصه بدقة راح يرميها بنظرات متسائلة. كانت عيناه الزرقاوان قادرتين أن تخرقا بنضارتهما صلابة الماس. حتى التفاتته ليست بغريبة عنها... لكن ما الذي جعلها ترتعش في هذه اللحظة؟ دقات قلبها تزداد، إحساسها المضطرب يملي عليها بضرورة تجنب أي اتصال بهذا العائد بعد طول غياب...

وبدات صورة وجهه تتوضح شيئاً فشيئاً. كانت نظرته المصوبة نحو جاسيكا وهو يحدق ملياً بشعرها العسلي وعينيها المكحلتين بالخضار توحي بأنه يعرفها جيداً وإلا لماذا تراه يتأملها بهذه الدقة؟

اقترب منها قليلاً وعقد حاجبيه لحظة قبل أن يسألها:

«هل أعرفك؟».

كان يتكلم بسلاسة وارتياح فتنحسر أسارير وجهه ويبدو بعيداً عن التكلّف.

غريب! كل شيء فيه يقرّبه منها لكنها لا تتمكن من أن تتذكر اسمه...

هزّت رأسها لتشير الى ان الأمر يلتبس عليها وأجابت:

«لست متأكدة».

هذا الصوت...

توقف قليلاً كأنه يلملم ذكرياتها بينما ظلت نظراته عالقة بوجهها. «يا الله...».

وبرقت عيناه كأنه تعرف اليها مع بعض الريبة.

«هل يمكن؟ أنت جوردانا!؟»
«انها شقيقتي»
فجوردانا تزيدها ثماني سنوات، لكن الاثنتين تتشابهان بالرغم من فارق السن. زد الى ذلك أن كل أفراد عائلة ثورن يتميزون بالشعر الأشقر والعيون الخضر.
واستدرك قائلاً:
«كان عليّ أن ألاحظ انك اصغر سناً من جوردانا. تبدين بعمرها يوم افترقنا. فأنا لم آخذ بعين الاعتبار مرور الزمن».
كانا يتحدثان باهتمام ولم ينتبه أي منهما للاشارة الضوئية التي تبدلت لتأذن بالمرور. لكن تهافت الناس أيقظ انتباههما، فشبك يده بذراعها ومشيا مع العابرين.
حين شدّ بقبضته على ذراعها تضاعف شعورها بضرورة الابتعاد عن هذا الرجل، لكنها لم تقل شيئاً بل ازدادت تساؤلاً عن سر هذا الغريب الذي يعرف شقيقتها البكر، بدون ان تتذكر من يكون. وعبثاً حاولت أن تستجمع ذاكرتها فلا أحد ممن تعرف يشبه الرجل الذي يسير الى جانبها.
راحت تحدّق به بامعان وتركز افكارها علّها تعثر له على أثر في ذهنها، وتساءلت.
ما تراه يريد مني؟ لم تكن قادرة أن تفهم أي شيء.
عبرا الشارع، لكنه استوقفها في الجهة المقابلة وتابعا حديثهما...
«كم هو صغير هذا العالم!».
كانت بسمته الكسولة تظهر انشراحه وتابع:
«هل يعقل، أن ألتقي أحداً من عائلة ثورن في اليوم الأول بعد عودتي؟ أنها لصدفة غريبة!».
وافقته جاسيكا بدون أن تدرك مغزى ملاحظته.

«حقاً... هل كنت صديقاً لشقيقتي؟».
«صديق؟ لا لم أكن صديقاً. التقيت شقيقتك، لكننا لم نتوصل الى درجة المعرفة الحقيقية... ولم أكن أنا المخطىء».
هذا التلميح أثار فضول جاسيكا، فتساءلت: هل شقيقتها صدته وخيبت آماله، أم أنها فشلت في فهمه؟ كان بودها ان تتوضح الأمر، لكنه بدل الموضوع بسرعة.
«أين هي جوردانا اليوم؟ تزوجت على ما أظن».
«أجل تزوجت ورزقت بصبي وبنت وهي تعيش مع زوجها في فلوريدا».
ونزع يده من ذراعها فتنفست جاسيكا وكأنها تحررت من عبء ثقيل. أما هو فأغرق يديه في جيب سترته وبدا غير مبال للفحات الريح. فقميصه الشفاف يلامس صدره القاسي وينسدل فوق معدته الضامرة.
للوهلة الأولى اعتقدت جاسيكا أنها تكلّم شخصاً عابراً رآته في مكان ما. أما الآن فها هي أمام رجل يستوقفها عند منعطف الشارع ويريد أن يتحدث اليها طوال النهار.
«ماذا عن أهلك؟ أتمنى أن يكونوا بخير».
«هل تعرفهم أيضاً؟... انهم بخير. والدي تقاعد منذ سنتين. ثم انتقل مع والدتي الى فلوريدا. هكذا يتسنى لها ان تعيش قرب احفادها».
وتساءلت جاسيكا، ان كان عليها أن تطلعه على كل هذه التفاصيل وهي التي لم تعرف هويته بعد؟ لكنها تأكدت من أنه يعرف عائلتها جيداً.
«وأخوك، هل تخرج من جامعة هارفرد؟».
احست جاسيكا أن سؤاله ينطوي على بعض الوقاحة

والاستفزاز. وربما قصد التهكم عندما أتى على ذكر هارفرد الأمر الذي أثار انفعالها وحفزها للدفاع عن أخيها الأكبر.

«أجل لقد التحق بمؤسسة حقوقية في ممفيس وهو ناجح في أعماله».

«أنت على حق، إن أبناء ثورن لا يقدرون النجاح الاّ في مصالحهم الشخصية».

أبدى هذه الملاحظة وهو يبتسم بقساوة... فاعتبرت جاسيكا هذه المزحة نوعاً من الاهانة.

«بالمناسبة، نسيت أن استفسر. هل تزوجت جوردانا ذاك الثريّ من عائلة رادفورد؟».

وانبرت جاسيكا هذه المرة للرد:

«بالنسبة الى هذا الموضوع يهمني أن اوضح. تزوجته دون أن يكون للمال أي دور في اختيارها. لقد احبت توم، فقط».

وقاطعها موضحاً:

«هل تعتقدين أني عنيت غير ذلك؟ اعتذر عن الصفة التي نعتُّ بها السيد رادفورد. لم أكن أقصد شيئاً».

فتساءلت جاسيكا: ترى هل هو صادق في ما يقول؟ أم أنه يتقن فن التمثيل؟ ثم لماذا لا يعرّفها بنفسه؟ أرادات أن تلفت انتباهه الى ذلك فقالت:

«عذراً لقد اختلط عليّ الأمر. أظن أني رأيتك من قبل ولكن...».

وهكذا أرادات أن تستدرجه ليفصح عن اسمه.

بدا مرتبكاً بعض الشيء وهو يستعد ليعرّف عن نفسه:

«لا أظن أننا التقينا من قبل».

ثم سحب يده من جيبه ليصافحها:

«اسمي برودي هايس».

هذا الاسم جعلها تتذكره جيداً. لكنها لم تضطرب. تركته يتابع حديثه بدون مقاطعة، فتابع:

«أنت شقيقة جوردانا، لكن لم أعرف اسمك بعد».

انقبضت اساريرها عندما سألها عن اسمها. فأجابت بصوت منخفض:

«اسمي جاسيكا».

ثم مدت يدها لمصافحته.

هكذا تم التعارف ولمست كفها الدافئة حرارة كفه للحظة.

برودي هايس! ثم تسمرت عيناها بذهول على الملابس الثمينة التي كان يرتديها: بدلته الأنيقة، حذاؤه اللماع، الخاتم الماسي في اصبعه.

وبينما كانت تتابع تحديقها باهتمام ظاهر وعيناها تستقران على تقاسيم وجهه اللاذعة سألها باهتمام:

«تذكرتني. أوليس كذلك؟».

شهقت جاسيكا بقوة، قبل أن تجيب.

«سمعت عنك وأظن أني رأيتك مرة او مرتين».

«معك حق فأنا أكاد لا اذكر اختاً صغيرة لجوردانا... كنت الشيطانة المدللة وقد وضعوا على اسنانك قضيباً حديدياً ليقوّم الاعوجاج».

لم تبتسم جاسيكا ولم تحاول أن تظهر له تناسق أسنانها الناصعة البياض بل أرادت أن تبادله مزاحه اللطيف.

«يبدو أنك دخلت العالم الذهبي يا سيد هايس».

«ناديني برودي».

ثم القى نظرة سريعة على بدلته وكأنه يعبّر عن عدم أهميتها.

واستأنف قائلاً:

«قطعت مسافة طويلة في هذه الحياة. لم أعد ذاك الصبي الهائم على قارعة الطريق».

وافقته جاسيكا لرأيي في داخلها، وقالت في نفسها: حقاً انها مسافة طويلة. فقد بدا برودي وكأنه قطعة من الماس، لكن مظهره الخارجي لا يبدل حقيقة جوهره... انه كالماس يلمع ويقطع في آن معاً. لذلك حاولت التخلّص منه بلباقة.

«أعلم اني الهيك عن اعمال هامة... أنا سعيدة بلقائك».

ثم حاولت متابعة سيرها لكن برودي لم يتركها تخطو خطوة واحدة.

«إن الحديث معك لا يشغلني عن شيء».

«لا شك ان لك اصدقاء قدامى تريد الاتصال بهم».

فأجاب بأسف وحسرة:

«اصدقائي القدامى؟ صدقيني يا جاسيكا عندما ندخل عالم الثراء ندفع الثمن باهظاً لأننا نترك وراءنا الكثيرين من معارفنا الذين لا نستطيع ان نرفع من قدرهم جميعاً».

وعارضته جاسيكا:

«واذا كانوا من الأصدقاء؟».

«اذا التقينا شخصاً نعرفه بعد مرور سنين وبعد أن نرتقي سلم النجاح، في حين ما زال هو يخوض معترك الحياة بصعوبة، يمتلكه شعور بالفشل فيعرض عنا. هذه هي الحقيقة المرة. معظم الناس يحبون اصدقاءهم العاديين، القدامى، لا الناجحين المنتصرين».

«أعتقد انك على حق».

ثم القت نظرة على عقارب ساعتها فأدرك برودي معنى الحركة.

«هل اشغلك عن موعد ما؟».

«تكاد تنتهي فرصة الظهيرة، وعليّ ان أرجع الى عملي خلال دقائق».

في الحقيقة كان لديها متسع من الوقت، لكنها شعرت أنه لا بد من أن تنهي حديثها مع هذا الرجل. هكذا، بلا سبب.

«انت تعملين اذن وليس لك الكثير من أوقات الفراغ؟».

هذه المعلومات الجديدة جعلته في حيرة. كان يظن أن ثروة أهلها سبب كاف لتبقى طليقة بدون عمل. وأتى دورها هذه المرة لتكون لاذعة في ردها:

«حياة الفراغ تسبب الضجر، وربما لم يتح لك ان تكتشف هذه الحقيقة بعد».

اعتبر برودي الملاحظة مزاحاً فقال ضاحكاً:

«وربما لم اكتشف ذلك بعد».

وظل بريق ضحكة ساخرة يرتسم في مقلتيه، الأمر الذي منع جاسيكا من التعاطف معه، فحاولت الانصراف ثانية.

«أني سعيدة بلقائك».

لكن النتيجة لم تتبدل فقد استوقفها برودي من جديد وسألها:

«هل تتناولين معي الطعام هذا المساء؟».

وأضاف:

«أني أرحب أيضاً بزوجك».

«لست متزوجة».

وأدركت انها عالقة في شرك رجل من العسير التخلص منه.

«لا بأس. صديقك اذن. لا بد أن لك صديقاً».

كانت نظرته تعني، أن فاتنة تلفت الانظار بجمالها كجاسيكا، لا يمكن أن تكون بلا صديق، الا اذا كانت عندها قصة معقدة.

كان ينتظر جواباً بالموافقة لكن الفتاة الشقراء اعتذرت بلطف:

شكراً لا أستطيع، وتعمدت احكام رباط حقيبة يدها على كتفها كاشارة للرحيل.

«أرجوك، أعيدي النظر».

كانت تغلف بسمته الهادئة مسحة من الرجولة الفذة، من الصعب أن تصمد في وجهها أي امرأة. فاقدة الشعور وحدها تستطيع اللامبالاة ولم تكن جاسيكا من هذا النوع.

«اشفقي على رجل سئم تناول وجباته منفرداً».

«اذا كنت تتناول طعامك وحيداً، فهذا اختيار شخصي. هناك اناس كثيرون يتمنون مجالستك».

كانت جاسيكا تضبط عواطفها كي لا تضعف أمام دعوته.

«جلسائي الى المائدة يريدون عادة مناقشة المال والأعمال بشكل او بآخر. أنك الوجه الأقرب الذي رأيته منذ عودتي... أنا عائد غريب، ولا أحد يستقبلني... أود أن أقضي هذا المساء معك لأحياء الذكريات الماضية».

وتمكن بسلاسته الذربية من اشعارها بالذنب والتحجر في حال الرفض لكن بالرغم من اسلوبه التوددي استمرت جاسيكا في اعتذارها وأردفت وهي تخفي شيئاً من العنف في صوتها:

«أشك أن اكون قادرة على احياء الذكريات الماضية فأنا لا علاقة لي بها. كنت اود لو استطيع التعويض باعلامك عن اصدقائك القدامى أين هم الآن وماذ يفعلون».

«أصدقائي كانوا أيضاً اصدقاء شقيقك وشقيقتك... لا شك انك سمعتهما يتحدثان عنهم. اذا حاولت ان تتذكري تكتشفين أنك تملكين الكثير من المعلومات عنهم».

«ربما أنت على حق».

في تلك اللحظة عبث الهواء العاصف بخصلات شعره الأسود

فأعاد ترتيبها بحركة رشيقة.

ولم يكرر برودي دعوته، لكنه عبّر عنها بشكل آخر:

«هل أحضر لأعيدك بسيارتي الساعة الثامنة؟».

ووجدت جاسيكا نفسها مضطرة إما للتمادي معه في الحديث أو للقبول. فتنفست ملء رئتيها، ثم رمقته ببسمة خاطفة قائلة:

«الثامنة. انه الوقت المناسب».

قبلت الدعوة وهي تتطلع الى ساعتها.

«عفواً عليّ ان اسرع. سأراك الليلة... يا برودي».

وكادت تتلعثم وهي تلفظ اسمه.

«الى اللقاء».

واعتلت ثغره بسمة عريضة.

انصرفت جاسيكا غير مفسحة له المجال هذه المرة ان يستوقفها. وخفت خطاها على الرصيف من دون الالتفات الى الوراء لتعرف ما اذا كان برودي يتبعها بنظراته. لم يكن أمامها خيار آخر ففضلت الموافقة للتخلص منه. في كل حال لن ترافقه الليلة حسب الوعد، ليس لأنها على موعد سابق مع غيره بل لأنه لم يأخذ عنوانها، ولأن رقم هاتفها غير مدون في الدليل. فمن أين يهتدي اليها؟ أحست أن رجلاً كبرودي يصعب التغلب عليه وقد يكون من حسن حظها أن لا تواجهه ثانية.

توقفت جاسيكا عند المبنى الذي تعمل فيه لتراقب المارة على الرصيف. انه لمن الغباء التفكير أن برودي قد يلحق بها! وفتحت الباب الزجاجي بسرعة لتختفي في الداخل. في المصعد الكهربائي نزعت عنها معطفها، وحاولت ان تنسى الأمر نهائياً. لكنها لم تنجح فطعم المرارة لا يختفي فوراً من الحلق. بدت مضطربة وهي تدخل المكتب. وبادرتها آن مورو الموظفة في غرفة الاستقبال.

«لم أكن اتوقع قدومك قبل عشرين دقيقة آنسة ثورن».
فاستعادت انفاسها لتجيب.
«كان عليّ ان ادقق في حساب السيد اتكن».
ورفعت الموظفة كتفيها كأنها تعتذر:
«لقد حملت ملفه الى مكتب السيد داين منذ دقائق».
«لا بأس».
في الواقع لم تكن جاسيكا مهتمة بمطالعة الملف، على الأقل في الوقت الحاضر. ثم ان خالها رالف داين يهتم بالموضوع وليس عليها ان تشغل بالها.
«سأكون في مكتبي، اذا اتصل بي أحد».
كانت جاسيكا مطمئنة وهي تدخل مكتبها الى ان برودي لن يتصل فهو لا يعرف أين تعمل.
فتح باب المدخل ودخل رجل بخطوات كبيرة لم تلبث جاسيكا ان عرفت صوته وهو يتكلم الى السكرتيرة. انه خالها. ووجدت نفسها واقفة بطريقة لا شعورية. كان يلقي نظرات ثاقبة، ينسدل فوق جبينه شعر اسود كعتمة الليل ويحمل بيده ملفاً، وبالأخرى نظارات سوداء تلائم لون شعره.
كانت التفاتته تدل على الاستغراب وهو يرى جاسيكا واقفة في مكتبها.
«جاسي رجعت باكراً وفي الوقت المناسب. أنت الشخص الذي أريد التحدث اليه. اتبعيني الى مكتبي».
أدار ظهره وتوجه الى مكتبه تاركاً الباب مفتوحاً أمامها. توقفت جاسيكا لحظة ثم القت معطفها علىَ كرسي محاذٍ للسكرتيرة وتبعته.
اقفلت الباب واسندت ظهرها الى مقعد جلدي:
«عدت باكراً من الغداء، أوليس كذلك؟».

ثم تغيرت نبرة صوته لتعبر عن شيء من التذمر:
«لا ألومك على الفوضى الواضحة في ملف اتكن».
القى الملف على مكتبه وشمّر عن معصمه لينظر الى ساعته:
«كم أنت نشيطة، عدت قبل الوقت بعشرين دقيقة».
وفسرت جاسيكا سبب عودتها بصوت منخفض:
«تناولت الغداء ولا حاجات اشتريها من السوق ففضلت العودة الى المكتب».
وهمهم رالف داين مازحاً:
«لا سوق اذن! سأحتفل باليوم الذي تقول فيه امرأة خالك رابيكا: لا سوق اليوم. جلس على المقعد المتحرك وراء مكتبه وفتح خزانة الملفات ليتناول أحدها. «لقد طالعت ملف السيد اتكن».
وشرع يصحح بعض المقاطع بقلمه الأحمر، فدنت جاسيكا منه لترى التعديلات التي يدخلها، ثم ركزت انتباهها لدقيقتين فقط على الملف ليشغل بعدها برودي هايس كامل تفكيرها. وظهر الشرود من خلال عينيها التائهتين، فسألها خالها بلهفة:
«هل تسمعيني يا جاسي؟».
اربكها شرودها فقالت:
«عذراً كنت افكر».
«بالتأكيد، ليس بهذا الملف».
القى قلمه على مكتبه واستقام على كرسيه وأسدل يديه ليضيف:
«أنت لا تفكرين بأمر بسيط. هنالك أشياء هامة تشغل بالك».
«لا. لا افكر بأمر هام».
«هام كفاية ليطغى على تفكيرك بهذا الشكل. عليك ان تبوحي بالسر».
وتأكدت جاسيكا، وهي العليمة بطباع خالها، انه لن ينفك عن

استجوابها الى ان يحظى بالجواب الصحيح. وارتأت ان تطلعه على
جزء من الحقيقة باعتبار انها لا تحسن تلفيق الروايات:
«كنت عائدة الى المكتب، فالتقيت رجلاً عاش هنا عدة سنوات.
كان فتى هائماً في المدينة، وهو الآن ناجح في اعماله. فعلى ذكر آتكن،
خطرت لي فكرة المقارنة بين الاثنين».
«ومن يكون الرجل؟».
«برودي هابس».
وتعجبت جاسيكا كيف تمكنت ان تلفظ اسمه بدون اضطراب.
اظهر خالها عدم اكتراثه للأمر وهو يقطب جبينه.
«لم اسمع به من قبل... هل هناك شيء آخر؟».
«كلا».
لم ترغب في اطلاعه على اي شيء آخر. فالخدعة التي حاكتها
للتخلص من برودي ستبقى ملكاً لها وحدها. وهي، ليست في كل
حال مصدر اعتزاز لتبوح بها الى خالها. فهذا الأخير وان كان قريبها،
ما يزال رئيسها المباشر ولا تريده ان يطلع على خفايا اسرارها.
«خذي هذا الملف، انتبهي لملاحظاتي، اضيفي البعض من عندك
واعيديه الى الموظفين. قولي لهم ينبغي عليهم ان يعتنوا اكثر والا
خسروا مراكزهم».
واقفل الملف وناولها اياه.
ابتسمت وهي تسمع تهديده المزعوم ثم اطرقت رأسها قائلة:
«سأفعل».
توقفت في غرفة الاستقبال لتحمل معطفها. كانت آن مورّو
تتحدث على الهاتف فأومأت اليها بأنها عائدة الى غرفتها.
كان مكتبها صغيراً لا يحتوي اكثر من طاولة وكرسيين وخزانة
ملفات. فهي اصغر الموظفين سناً. قضت السنة الأولى من التحاقها

بشركة خالها للاعلانات في الغرفة الخلفية تتعلم المبادىء الأساسية.
وعندما انهت مرحلة التعلم، رقيت الى قسم المحاسبة.
الحسابات هذه كانت تخص قدامى الزبائن وكان رالف داين
يعمل الى جانبها في هذا المجال. مما جعل جاسيكا تتبين انها لم تحصل
على هذه الوظيفة لو لم تكن ابنة شقيقته. ولكنها كانت تعرف ايضاً
انها لو لم تكن موهوبة لما احتفظت لها الروابط العائلية بهذا المركز.
جلست على كرسيها وفتحت الملف. كانت تبدو منزعجة من
المقاطع المحذوفة، قرأت الملاحظات على الهامش. بعض التعديلات
كانت ستدخلها والبعض الآخر لم تكن ستلحظها. فخالها كان يتقن
صقل الأشياء بدقة وفكرت انها ستكسب هذه المهارة في المستقبل.
كم مرّ من الزمن على مشاهدتها الأخيرة لبرودي هابس؟ عشر
سنوات؟ كان لها من العمر احدى عشرة أو اثنتا عشرة سنة.

٢- فم مليء بالمعدن!

كان عمرها اثنتي عشرة سنة، وذكرى برودي هايس ترتبط بشعور غريب خلقه هو فيها. فهي تذكر بوضوح أول مرّة سمعت اسمه.

كان ذلك بعد ظهر سبت من حزيران، وكانت جاسيكا تجلس مع شقيقها وشقيقتها يستمعون الى الموسيقى في غرفة الجلوس. فبالرغم من فارق العمر بينهم لم يمنعها من مجالستهما. فحبها لشقيقيها فاق كل حدود وكانت تريد ان تقلدهما في كل شيء لأنهما كانا يقومان بأعمال طالما تمنّت هي القيام بها. لذلك كانت دائماً حاضرة الذهن تصغي الى احاديثهما.

كانت تنصت بكل حواسها حين دخل والدها رافعاً صوته ليطغى على الموسيقى الصاخبة وقال:

«جوردانا! هناك شاب لا يوحي بالثقة عند الباب الأمامي يريد التحدث اليك».

أبدت شقيقتها في بادىء الأمر بعض الدهشة لأن شاباً يريد رؤيتها. لكن نبرة والدها حوّلت هذا الشعور الى نوع من الخوف والذعر. فاعترضت متعجبة:

«لا يمكن... برودي هايس لا يمكن ان يحضر الى هنا».

فانتفض اخوها جوستان، عند سماع اسم برودي:

«برودي هايس! لا أظنك اجتمعت به!».

فأجابت جوردانا:

«لا لم أفعل».

كانت جاسيكا تستمع باهتمام واضح وهي ترى اخاها غاضباً كأنه طعن في الصميم. وتساءلت! من تراه يكون برودي هايس؟ لكن جوردانا أوضحت الأمر مبررة نفسها ازاء غضب شقيقها.

«منذ اسبوعين كنت اسبح برفقة بعض الرفيقات في البحيرة. وكان برودي هناك. تحدثت اليه بداعي اللياقة ولقد ازعجني «ملبه ان أخرج معه تلك الليلة».

عندما سمع جوستان كلامها نصحها بلهجة الأمر:

«عليك ان تبتعدي عن طريقه».

وافقته جوردانا فوراً وردّت:

«هذا ما سأفعل. لا أدري هناك شيء يخيفني في هذا الشاب».

وتدخل الأب ليحسم الجدل:

«اذا كان هذا شعورك نحوه يا جوردانا، فسأبلغه انك غير راغبة في مواجهته».

في هذا الوقت كانت جاسيكا تقف صامتة امام الموقدة، تجيل نظرها الى المتحدثين، الواحد تلو الآخر، ورأسها يتحرك يمنة ويسرة

كأنها تراقب مباراة في التنس.

أما جوردانا فقد وجدت نفسها في موقف حرج. كانت تخاف الانظار المتطلعة نحوها، خصوصاً لأن اخاها قد حذرها من العلاقة ببرودي. كانت تريد ان تنقذ الموقف وفي الوقت نفسه لا تريد ان تقبل اقتراح ابيها فقالت له:

«لا يا أبي. انا سأفهمه اللازم».

ثم خرجت وجاسيكا ترمقها بنظرات ثاقبة مدركة ان شقيقتها تضرب عرض الحائط بأقوال العائلة.

تقدم جوستان بعض الخطوات ليخفّف الموسيقى الى أدنى درجة ممكنة. فشعرت جاسيكا انه يتوقع نداء جوردانا! النجدة! لذا أخفض الموسيقى ليتأكد من امكانية سماع صراخها، في حين بقي الوالد في الغرفة. ثم التفت الى جوستان وسأله:

«من يكون برودي هايس؟».

بدا جوستان لهنيهة يتهرب من الجواب ثم تجهّم وجهه وقال:

«كان في صفي عندما كنت في المدرسة الثانوية. وبعدها ضجر من المدرسة مع انه كان ذكياً... لم يحضر يوماً اكثر من نصف الدروس، وكان يتدبّر أمره في الحصول على المعدل المطلوب. لكنه رسب أخيراً وهو في السادسة عشرة فراح يهيم في الشوارع مع أبناء الأزقّة. هؤلاء لم يتهذبوا في المدارس وفضلوا ان يتعلموا داخل السجون».

ولاحت سماتُ القلق على وجه الوالد فعلّق بقوله:

«تزعجني فكرة اختلاط جوردانا بهذا النوع من الناس»،

ثم تقدّم خطوة نحو الباب مضيفاً:

«اعتقد انه كان من الافضل ان اطرد هذا الشاب الأرعن».

لكن جوستان اعترض قائلاً:

«لا يا أبي. دع جوردانا تتصرّف... صدقني من الأفضل ان لا

ندع برودي يضمر الشر لعائلتنا».

عند سماعه هذا الكلام رمقه الأب بنظرة غاضبة لكنه امتنع عن التعليق. لم يكن احد يعير اي اهتمام لتحركات جاسيكا. فقد تسللت بصمت وخفّة الى غرفتها في الطابق الثاني من دون ان يراها احد: فمن نافذتها كانت تستطيع مراقبة وسماع ما يجري تحتها. لقد صحّ تصورها لبرودي قبل ان تراه: شعر اسود كالليل يلمع تحت اشعّة الشمس، طويل القامة، بنيته القوية تتعاكس مع جسد شقيقتها النحيل... يرتدي جينزاً لا يستدل الى لونه الأصلي من كثرة الاستعمال. ذراعان عاريتان تبرزان عضلاته المفتولة... كان مظهره ينبيء بالمتاعب والمشاكل. هذا الانطباع بعث الخوف في نفس جاسيكا فراحت تتذكر ما قاله أخوها عنه.

أما جوردانا فقد بدت هادئة أمامه. لكن جاسيكا لاحظت الاضطراب في بسمتها المبتذلة، وهي تتعمّد البقاء على بعد خطوات من الرجل المتجهّم الوجه، الحالك الشعر. وتمكنت جاسيكا ان تلتقط بعض عبارات الحديث من علو غرفتها.

سألها هايس:

«هل انت مخطوبة؟».

اجابت جوردانا بلهجة قاطعة:

«لا».

عندها دنى منها خطوة ليطرح سؤالاً آخر، بينما كانت جاسيكا تعيش الموقف وتشاطر شقيقتها الاضطراب ازاء الوضع الحرج.

«هل ترافقين اي شاب؟».

«في الوقت الحاضر لا».

كان صوتها يدل الى انها لا تعير اهمية لهذا الموضوع.

«اذن لا أجد اي مبرر لعدم قبولك دعوتي».

ازاء هذه الوقاحة الظاهرة شعرت جوردانا بكثير من الاحراج فقالت:

«آسفة».

وابتعدت عدة خطوات لتكون بمأمن من محاذاته واضافت:

«لقد سبق ان قلت لك ان لديّ أشغالاً. آسفة ان تكون قطعت هذه المسافة الطويلة بدون نتيجة. كان عليك ان تتصل أولاً».

«أجل أتيت من طرف المدينة!».

وتضاعف ارتباك جوردانا فاعتذرت ثانية:

«قلت آسفة يا برودي».

ردّ برودي بصوت جازم:

«أنا أيضاً آسف. انسي الموضوع».

كانت نبرة صوته تنطوي على سخرية لاذعة. وتنفس عميقاً فانتفخت عضلات صدره حتى انها كادت تقطع ازرار القميص المشدودة الى جسده. وتابع قائلاً:

«في كل حال فكّري في الموضوع... لكن هناك أمر آخر لم اوضحه بعد... سأراك ثانية هل تراهنين على ذلك؟».

كانت جاسيكا ترتعد وهي تتنصت من نافذتها الى الحديث خصوصاً وان نبرة برودي كانت عنيفة. بعد ان اطلق هذا التحدّي ادار ظهره ونزل الى الرصيف فسمعت جاسيكا باب المدخل يغلق وعلمت ان شقيقتها عادت الى الداخل فتركت نظراتها ترافق الرجل الغامض وهو يبتعد شيئاً فشيئاً. ويهرول عائداً كحيوان مفترس أخطأ فريسته فشعرت انه حيوان لا يرحم.

ما زالت جاسيكا تذكر يوم اصطحبها أهلها الى حديقة الحيوانات في كليفورنيا، ورأت بأم عينها ذئباً متوثباً في قفصه، تمنعه القضبان الحديدية من ممارسة شراسته الطبيعية.

ذاك الشعور نفسه عاد اليها وهي تتبع بنظراتها برودي هايس. فقد كانت ترغب في مراقبته ما دامت هي على منأى منه، لكن، اذا شاءت الظروف والتقته وجهاً لوجه فلا شيء يضمن لها النجاة.

اقلع برودي بسيارته الشفروليه لكن وقع خطواته كان لا يزال يطرق في اذنيها. وعندما غاب في الأفق اوت الى غرفتها وهي تشعر ان قسماً من ذاتها قد انهار. ارتمت لحظة على كرسيها. لكن رغبتها في متابعة الاحداث كانت اقوى من اضطرابها فهبطت السلّم الى الطابق الاسفل تكتشف ردّة الفعل عند شقيقها بعد هذا اللقاء العاصف.

كان الأب قد غادر الغرفة فوقفت جوردانا قرب النافذة تتأمل الحديقة الخضراء. أما جوستان فقد قطع الصمت مبدياً اعتراضه:

«كان عليك ان تفهميه بانك غير راغبة في رؤيته ثانية».

«القول اسهل من الفعل. ثم اني اشك ان يعتبر كلامي جدياً».

وانتقلت من مكانها وهي تقضم احد اظافرها. ثم توقفت ضاحكة وقالت:

«هل تعلم ما قاله لي يا جوستان؟ ان طرف اصبعك يفوق شهامة جميع البنات اللواتي اعرفهن».

«لا عجب في ذلك، اذا فكرنا بنوعية البنات اللواتي يعرفهن. هل تدركين ابن اصبحت سمعتهن بعد مرافقتهن له؟ صدقيني لو شاهدك احد معه لما كان حظك افضل منهن، ولما سلمت من لذع السنة الشرّ».

وتساءلت جاسيكا من يكون هؤلاء الذين يلومونها لو مشت مع برودي لكنها ادركت ان لا وقت الآن لتقاطع اخويها وتطرح الاسئلة. فحبست انفاسها ومثلت دور الفأرة المتنصتة في الزاوية، بينما استذكرت جوردانا ونفحة اعتذار تملأ صدرها:

«اعرف ذلك ولا اريد مرافقته الى اي مكان».

«هذا ما اتمناه».

وتابعت حديثها وهي تفرك كفيها:

«لكنّ شيئاً ما يخيفني فيه. أظن عينيه. انهما ثاقبتان، تخترقان خفايا النفس بدون ان تعكسا اي انفعال. حتى عندما يبتسم فعيناه تظلان ثابتتين».

عندها، وبطريقة لاشعورية قطعت جاسيكا صمتها لتسأل:

«ما لون عينيه؟».

فأجابت جوردانا بدون انتباه.

«زرقاوان».

ثم التفتت هي وجوستان فلاحظا ان جاسيكا كانت تنصت الى حديثهما.

وعندما ادركت ان اخويها قد فطنا لوجودها، حاولت مشاركتهما الحديث فقالت:

«انه يبدو خطيراً».

واستغربت جوردانا الأمر فسألتها:

«أين رأيته؟».

وابتسم جوستان قائلاً:

«أراهن انها راقبته من شباك غرفتها. اوليس كذلك يا جاسيكا؟».

فأجابت مبررة تصرفها:

«كنت اريد ان اعرف من يشبه».

لكن جوردانا ابدت تذمّرها من تصرّف جاسيكا واجابتها:

«كان عليكِ الاّ تتجسسي على الناس هكذا».

واراد جوستان ان يداعبها فقال:

«هذا رأي خطر! هل انت خائفة مما تكون جاسيكا قد رأت وأنت

تقولين لبرودي تصبح على خير».

فتناولت جوردانا وسادة عن احد المقاعد وقذفتها نحو شقيقها غاضبة...

انتهت القصة في المرة الاولى عند هذا الحد. ولم يفت جاسيكا ان اخويها قطعا حديث برودي هابس بسبب وجودها قربهما.

المرة الثانية التي رأت فيها جاسيكا برودي كانت هي وشقيقتها وحدهما في البيت. فقد كان جوستان يلعب التنس مع شلة من رفاقه ووالدها في العمل بينما كانت امها تحضر ندوة اجتماعية.

في ذاك اليوم ارتدت جاسيكا ثياب البحر لتسبح في البركة وراء المنزل. وبينما كانت تدخل الباب الزجاجي، سمعت جرس البوابة الأمامية يقرع. فقالت لشقيقتها:

«أنا أفتح».

وهرعت حافية باتجاه المدخل لتفتح. ولكن ما ان شقت الباب حتى اختفت بسمة الترحيب عن شفتيها. وتسمرت خوفاً في مكانها ممسكة بالمزلاج. فقد انتصب امامها برودي هابس بشعره الأسود وعينيه الزرقاوين النضرتين. وبادرها سائلاً:

«هل جوردانا هنا؟»

لم يكن هذا سؤالا بالنسبة لجاسيكا، بل طلباً ملحاً. واحتضرت الكلمة على شفتيها، كأن الذعر سيطر عليها كلياً.

وحين وجد الباب مشرّعاً على مصراعيه، اكمل سيره الى الداخل فأخذ قلبها يدق بشدّة، وهي ترى برودي يتقدم في الممر الداخلي. كانت ترقبه وهو يلقي نظرة شاملة على محتويات المنزل. ليتها تستطيع ان تركض، لكن ركبتيها العاريتين اصيبتا بالشلل. وسمعت جوردانا تسأل من بعيد:

«من بالباب»؟.

ارادت جاسيكا ان تطلق صيحة انذار. لكن صوتها اختفى في صدرها. كان يجدر بها ان تقول لبرودي : جوردانا ليست هنا. لكن ظهوره أرعبها وأخرسها. وما كادت تلملم انفاسها حتى كان قد فات الأوان. فها هو وجهاً لوجه مع جوردانا. يلقي عليها التحية. أية قوة في عينيه! وأية بسمة ترتسم على ثغره فتجعله يقف امامها وكأن شيئاً لم يكن!

كانت جاسيكا في غاية الاضطراب حين دنت منها جوردانا وهي تصطنع الابتسامة. وقالت لها:

«من الافضل ان تذهبي الى غرفتك وتبدلي ملابس السباحة».

بذلك اعطتها الفرصة لكي تنسحب واعادت الحركة الى اعضائها المتشنجة فصعدت الدرج بسرعة خاطفة. لكنها لم تبتعد عن الدرجة الأخيرة. هناك اسندت ظهرها الى الحائط لتصغي الى الحديث وهي ترتجف كالورقة في مهب الريح. فسمعت برودي يشرح ملابسات زيارته.

«صدف ان مررت بحيكم وفكّرت ان امر بك علّك تودين مرافقتي في نزهة بالسيارة. فالطقس رائع في الخارج».

«اعتذر ان ارفض مرة اخرى. لا استطيع الذهاب معك».

ثم بادرت الى تبرير رفضها:

«لا احد هنا ليبقى مع شقيقتي الصغيرة وليس باستطاعتي تركها وحيدة».

وارتعدت جاسيكا وهي تختبىء في اعلى الدرج. كيف تخبره جوردانا بانها وحيدتين؟ فماذا لو شاء ان يخطفها!

واستفسر برودي.

«كم عمر شقيقتك تسع ام عشر سنوات»؟.

«انها في الحادية عشرة».

«عمرها يسمح لها بسهولة ان تبقى وحدها. لم يكن احد يهتم للبقاء معي مذ كنت في الثامنة».

لكن جوردانا اصرّت على موقفها:

«لا يهم. نحن نتصرف هكذا. ومن ثم جاسيكا فتاة والأمر يختلف».

وسأل بلهجة من ينتظر جواباً سلبياً:

«اذن لن تبدلي رأيك وترافقيني في نزهة؟».

«لا استطيع. سبق أن فسرت لك لماذا عليّ ان ابقى هنا».

«في هذه الحال سأبقى هنا لتسليتك».

اضطربت جاسيكا وهي تسمع هذا الاقتراح، واحست أنها بحاجة الى النجدة، لكن شيئاً ما كان ينخزها في حلقها ويحول دون وصول صوتها الى الطابق الأسفل.

وأضافت جوردانا:

«اعتذر عليّ ان اطلب منك الانصراف يا برودي. أهلنا لا يسمحون لنا ان نستقبل احداً، الا اذا كان من اصدقائهم».

وانحسرت اساريره عن ضحكة لاذعة وكأنه يسخر من كلام محدثه.

«وهل تفعلين دائماً ما يوصي به اهلك؟».

«ثق بان اهلي لا يطلقون اوامر غير معقولة».

واكتفت جوردانا بهذا القدر من الدفاع عن اهلها وعن احترامها لارادتها.

فاقترح برودي بهدوئه المألوف.

«اذا حضرت اذن بعد الظهر، عندما يعود اهلك فلن تمانعي في مرافقتي».

عندها حبست جاسيكا انفاسها وهي تعرف ان شقيقتها ستبادره

بالرفض لكنها تساءلت ما الحجة التي ستعتمدها هذه المرة. فجاء رد جوردانا حاسماً بصوتها المترجرج.

«بلى».

«لماذا؟».

كان اعتراض برودي هادئاً وعنيفاً في الوقت نفسه.

وشعرت جاسيكا ان اعصابها مشدودة كأي شخص يجتاز خطراً عصبياً وهي تتصوّر موقف جوردانا الحرج. إلّا ان برودي تابع كلامه بلا اي انفعال:

«أتخافين ان يراك الناس معي؟ ام انك خائفة مني؟».

فسارعت جوردانا الى توضيح موقفها.

«لا شيء من ذلك يا برودي».

«اذا لم يكن الأمر هكذا، فهل تتكرمين بشرح سبب ممانعتك؟».

توقفت بضع ثوان وحاولت ان تضع حداً لهذا الجدل العقيم.

«لا اهتم لرؤيتك يا برودي... هناك شخص آخر احبّه».

«رادفورد. ان اهلك يقفون الى جانبه. لكنهم لا يسمحون لي بأن ادخل بيتكم اليس كذلك؟».

لا علم لي. فالسؤال لم يطرح أبداً.

«من الأكيد لم يطرح السؤال، لأن الجواب معروف سلفاً».

واعترضت جوردانا:

«هذا تجنٍّ».

وقهقه برودي.

«تجنٍّ... على الأقل عرفت منزلتي عندك... هل تريدين ان تعلمي منزلتك عندي».

وبلغ خوف جاسيكا ذروته وهي ترى برودي يقطع الطريق على شقيقتها التي حاولت الانصراف بمحاذاة الحائط. فهبطت درجتين

لكن برودي حجب عنها رؤية جوردانا. وسارعت هذه الأخيرة للقول بتأفف.

«اسمح لي يا برودي».

«اسمح لك ماذا؟ اسمح لك...».

ثم فسح لها المجال للتقدم بينما هي ظلت ثابتة في مكانها لا تجيب واردف قائلاً:

«لا بأس اذا كانت هذه ارادتك».

وابتعد عن الحائط وهو يتابع.

«اعتقد اني لست من مقامك أوليس كذلك؟».

حاولت ان تقول اي شيء لكنها لم تكن قادرة على الكلام.

«لا تزعجي نفسك بمرافقتي الى الخارج، الا اذا كنت تفضلين ان اخرج من الباب الخلفي».

«كلا... لا...».

وقاطعها برودي وقد عرف رأيها فأدار ظهره واتجه نحو الباب الأمامي بخطوات متوازية.

عندما اقفل الباب وراءه، هرعت جاسيكا الى اسفل الدرج لتسأل شقيقتها:

«هل انت بخير يا جوردانا. كنت خائفة عليك».

«جاسيكا حبيبتي».

وعانقتها جوردانا بحنان وقد تبينت معالم الخوف على وجهها.

«اعتقدت انك كنت في غرفتك».

«كنت انتظر في اعلى الدرج... ما خطر لي انك ستطردينه بهذا الشكل. ظننت ان كلامه سيؤثر بك».

«انك صاحبة خيال واسع يا جاسيكا».

«رأيته يستوقفك عند الحائط. انا اعرف، كان يريد ان يؤذيك».

«كان يحاول ان يخيفني قليلاً لأني جرحت كبرياءه برفضي الخروج معه. لكنه لم يفعل شيئاً. انظري اليّ فأنا بخير. الآن اصعدي الى غرفتك واخلعي ملابس السباحة. ستغضب امي منك ان رجعت ووجدتك تتنقلين هكذا بهذه الثياب المبللة».

واستجابت جاسيكا للطلب، لكنها لم تقتنع ان شقيقتها لم تعد مذعورة مما جرى، فهي لم تنسَ المشهد ولا الشعور بالخطر.

أمّا المرة الثالثة التي التقت فيها برودي فكانت بعد ثلاثة اسابيع. تلك كانت المرة الأخيرة. من يومها لم تعد تراه الى هذا اليوم.

وكما في المرة السابقة، قرع الجرس وهرعت جاسيكا لتفتح الباب واستولى عليها الشعور نفسه وتسمّرت في مكانها كالصنم. وسألها:

«هل شقيقتك في البيت؟».

فرفعت رأسها لتشير انها ليست موجودة. كانت جوردانا قد خرجت مع بعض الصديقات لتقضي معهن فترة ما بعد الظهر.

«هل تعلمين متى ستعود؟».

ورفعت رأسها واشارت بالنفي مرة اخرى. فهي وان كانت تعلم ساعة عودتها فلن تبوح له بذلك. وبما انها تجهل الموعد فهي لا تكذب عليه.

«هل يمكن ان أترك لها رسالة شفهية».

واطرقت رأسها هذه المرّة، ففهم انها على استعداد لتنقل الرسالة.

فرفع برودي صوته بعنف وقد ساءه ان تجيبه بالاشارة.

«ألا تحسنين النطق؟».

ارتجفت جاسيكا من نبرة صوته وأجابت:

«أجل استطيع الكلام».

ولمح برودي مقوم الاعوجاج على اسنانها فضحك ساخراً:

«اذن هذه مشكلتك. فمك مليء بالمعدن».

فاطبقت جاسيكا شفتيها لتخفي اعوجاج اسنانها.

«قولي لجوردانا بأني سأغادر المدينة وتوقفت لأقول لها وداعاً».

أومأت جاسيكا برأسها موافقة، فتوقف برودي قليلاً وهو يهم بالرحيل، والقى نظراته الشرسة عليها، ثم اضاف:

«قولي لها ايضاً عندما اعود، لن اكون ادنى من مستواها».

ثم انصرف.

... مرّ زمن طويل ونسيت جاسيكا حتى اسم برودي. لم يعد يأتي على ذكره احد او يهتم بنجاحه او فشله في الحياة. لكن مقابلة اليوم احيت تلك التفاصيل وجعلتها تدرك انه حقق النصر. فملابسه الأنيقة تدل على انه دخل المجتمع المخملي من بابه العريض. ولكن لماذا يعود؟ ما الذي ينشده بعد طول غياب؟ لم تحظَ جاسيكا بالأجوبة المنطقية. في كل حال، ما لها وله فهو لا يمثل بالنسبة اليها سوى شبح ذكرى من الماضي. ومن يدري؟ ربما جنح بها خيال الطفولة وزرع في ذهنها اوهاماً لا مبرر لها. انها مجرد مصادفة ان تلتقيه من جديد. وليس من الضروري ان يعيد التاريخ نفسه. وينبغي ان تطرد جميع هذه الافكار المقلقة من رأسها.

وهكذا انصرفت الى عملها. فحساب السيد اتكن يستلزم منها انتباهاً كلياً وعليها الاتصال بالفنيين لتنظيم واتقان اعلان دعائي يلفت الانظار.

لم تغادر مكتبها ذاك المساء قبل الخامسة واتجهت مباشرة الى شقتها الصغيرة التي تحوي غرفتي نوم واسعتين، احداهما مخصصة للعائلة عندما يقومون بزيارة مفاجئة، وقد شغلها جوستان عندما حضر منذ مدة قصيرة لتصريف بعض الأعمال.

دخلت الدار وألقت حقيبة يدها ورسائلها على الطاولة في غرفة الجلوس. ثم ازاحت الستار المزركش عن باب الشرفة الصغيرة.

واكملت طريقها كالعادة الى غرفة النوم حيث بدلت ملابسها فارتدت بنطلوناً رمادياً وقميصاً حريرية خضراء. ثم توقفت في المطبخ قبل ان ترجع الى غرفة الجلوس وتتناول كوباً من الحليب الممزوج بالشوكولا.

واستلقت على الأريكة تقرأ رسائلها. انه الوقت الذي ترتاح فيه من عناء المكتب. وهذه رسالة من والدتها مليئة باخبار اولاد جوردانا.

لقد اعتادت ان تقرأ رسائلها مرتين، لكنها تلك الليلة، القتها جانباً واكتفت بتلاوة واحدة لتستعيض عنها بقراءة قصة حب منشورة في احدى المجلات النسائية.

٣ - اول الحب... نزهة

كانت القصة مشوقة فشغلت رأس جاسيكا حتى أنها نسيت موعد الطعام. ولما أحست بالجوع، القت المجلة من يديها جانباً، وبدون أن تنتبه الى دقات الساعة، خفت الى المطبخ. كانت قد أحضرت معها من المطعم صحناً من الدجاج. فجلست الى الطاولة لتلتهمه، لكن جرس الباب رن قبل أن تتناول لقمة واحدة. فتساءلت من تراه يكون هذا الزائر المسائي؟ فصديقاتها يتصلن بها عادة قبل قدومهن!

فتحت الباب، فأصيبت بالذهول!

برودي هايس يقف امامها! تراجعت خطوة الى الوراء، واعتراها ذاك الشعور الماضي الذي أصابها يوم فوجئت ببرودي وهو يدق باب اهلها ليسأل عن جوردانا.

ابتسم برودي بتودد وكأنه لم يلحظ اضطرابها. كانت ملابسه متناسقة ومنسجمة مع لون عينيه الزرقاوين وشعره الحالك. أما بشرته النقية فكانت تعكس معالم الرجولة والثقة بالنفس. فبادرها بدعابة عفوية لا تخلو من بعض السخرية، وقد رآها ترتدي ملابس عادية.

«كيف عرفت أننا سوف نتناول عشاء بسيطاً هذا المساء؟ هل تقرأين الافكار يا جاسيكا؟».

واستحالت صدمتها الى دهشة، وكانت تكاد لا تصدق عينيها:

«من ارشدك الى مكان سكني؟».

اتصلت هاتفياً بمكتبك، وشرحت الوضع لخالك! قلت له اننا اتفقنا على تناول العشاء معاً. لكنك نسيت ان تعطيني عنوانك الجديد... حقاً انه لطيف، فقد وافاني فوراً بالعنوان».

كانت كلماته ترتدي طابع الجدية وكأنه مقتنع حقيقة بصدق نوايا جاسيكا. لكن لم يكن كافياً هذا القدر من التوضيح فأضافت:

«ولكن كيف اهتديت الى مركز عملي؟».

«انه استنتاج بسيط».

وتعمد برودي التقدم نحو غرفة الجلوس ليتابع حديثه:

«كنت واثقاً من ان فتاة من عائلة ثورن لا يمكن ان تعيش وحيدة هنا. لا بدّ ان لك أقارب يتصلون بك دائماً استطيع بواسطتهم الحصول على عنوانك. لحسن الحظ تذكرت ان خالك يملك هنا شركة اعلانات».

«أجل لحسن الحظ...».

كانت تلهث بشدة، وهي تلفظ كلماتها المتقطعة.

«ولكن... لو لم تتذكر، لكان كل منا يتناول عشاءه منفرداً هذه الليلة».

«لم يكن يتسنى لأي منا، في مثل هذه الحالة، ان يقضي ليلة سعيدة أوليس كذلك؟».

كانت نبرة صوته عنيفة بالرغم من أن جوابه اتسم بالهدوء، فادركت ان خدعتها لم تنطل عليه وانه يعرف انها تعمدت اغفال الحقيقة.

واستعادت انفاسها، لكن قلبها بقي ينبض بسرعة. فابتعدت عنه قليلاً، وعضت على شفتيها وكأنها تدبر امراً ما في رأسها، ثم قالت:

«في الواقع، لم ادر ما دهاني فنسيت ان اعطيك عنواني».

ضحكت بتصنع، ثم اكملت:

«لم انتبه للأمر الا بعد عودتي الى المكتب، اي بعد فوات الأوان. ولم يكن هنالك أية وسيلة للاتصال بك».

وأشارت بيدها الى انها لم تكن تستطيع ان تفعل أي شيء. أما هو فظل يبتسم بدون ان يعكر صفاء عينيه الزرقاوين أي انفعال داخلي. فعلق على تبريرها قائلاً:

«كان بامكانك الاستعلام في الفنادق فعددها ليس كبيراً في شاتانوغا... ولكن عفواً نسيت أن فتيات آل ثورن لا يتعقبن الرجال في الفنادق.

وتنفست جاسيكا بعمق لتتابع تبريراتها:

«لم أفطن الى هذه الوسيلة. في كل حال، لم أكن متأكدة أنك نزيل أحد الفنادق».

فأجابها برودي بلهجة عاتبة:

«رغم ذلك لم تتحققي من الأمر».

راحت تشرح موقفها بحزم.

«لا، لم أتحقق... هل انت تلومني؟ اكاد لا اعرفك. انا لا

الومك على سوء فهمك لي. لو كنت مكانك لظننت أن المقصود هو التهرب مني ولشعرت بالخيبة المريرة».

نظر برودي الى الساعة المعدنية المعلقة على الحائط وقال:

«هل تناولت الطعام؟».

ترى، هل تكذب وتدعي انها فعلت؟ لكنها تتضور جوعاً. وراح برودي يحدق بوجهها بانتظار الجواب.

«كنت على وشك البدء بالطعام عندما رن الجرس».

«حسناً سنتناول العشاء معاً».

والقى نظرة سريعة على ملابسها وأردف:

لا داعي لتبديل ملابسك. فالمكان الذي سنقصده لا يفرض ذلك. يمكننا الذهاب فوراً اذا لم يكن لديك مانع».

«دقيقتان فقط».

كانت يداها ترتجفان وهي تعيد طعامها الى البراد. ثم تنفست بعمق محاولة ان تهدىء روعها. ستمضي ليلتها الى جانبه مكرهة، بدون ان تجعله يلاحظ امتعاضها من مرافقته. وما ان رجعت الى غرفة الجلوس حتى دعاها برودي للانطلاق:

«هل انت جاهزة»؟

«جاهزة».

حملت حقيبتها واحكمت رباطها على كتفها. اقفلت الباب بينها كان برودي ينتظرها في البهو الخارجي. مشيا جنباً الى جنب. ألقى برودي يده على ظهرها، ودفعها بلطف باتجاه الطريق التي سيسلكانها. كانت لمسته البسيطة هذه كافية لتشنيج اعصابها، واتجه بها نحو سيارة كاديلاك كحلية اللون داكنة، أوقفها قرب الرصيف المواجه. اسندت جاسيكا ذراعها الى المرفق المخملي، السكري اللون. وساد صمت تام. امام ذاك الصمت وجدت جاسيكا نفسها

في مأزق واحست ان عليها ان تقول شيئاً ما:

«سيارتك رائعة».

واعتلت بسمة على ثغره وأجابها:

«سأبلّغ شركة تأجير السيارات رأيك هذا».

لم تكن جاسيكا تتوقع هذا الجواب فبادرته مستغربة:

«اذن ليست سيارتك».

والمح أنه يملك سيارة اخرى بقوله:

«ليست هذه... لكن كنت دائماً احلم ان امتلك كاديلاك. وعندما توفرت لي الامكانات المادية، لم اتردد في شراء واحدة، انها متوقفة في احد الكاراجات».

كان يبدو انه غير مهتم لسيارته اطلاقاً. فسألته جاسيكا:

«انك تعلم أين هي متوقفة، اليس كذلك؟».

«في لوزيفيل على ما اعتقد».

كان برودي منهمكاً في التخلص من الازدحام ويطلق اجوبته بلا مبالاة، فصدقت جاسيكا انه لا يعرف مكان سيارته بالضبط، وانه لا يأبه لهذا الأمر اطلاقاً.

رمقها بنظرة خاطفة وتابع كلامه:

«منذ بدأت اسافر كثيراً، وجدت انه من الأنسب ألاّ استخدم سيارتي الشخصية في تنقلاتي. لا ادري اذا كان هذا التصرف منطقياً بالنسبة الى انسان في مثل ظروفي».

وغيرت جاسيكا الموضوع:

«كيف رجعت الى شاتانوغا بعد طول غياب... لم تخبرني ذلك في لقائنا عند الظهيرة».

«انها صدفة او ملابسات ظروف! لست ادري. اعتقد أنها مجرد رحلة عاطفية الى المكان الذي عشت فيه بداية حياتي».

وتسمرت على وجهها عيناه الزرقاوان.

«قد يبدو الأمر غريباً بالنسبة اليك أليس كذلك يا جاسيكا؟».

احسست انه يجيد قراءة الأفكار وهو يسترسل في كلامه.

«من الصعب أن نحدد موقفنا الحالي اذا تجاهلنا المكان الذي انطلقنا منه».

«افهم مَن حديثك انك تقوم برحلة عبر الماضي».

كانت تتساءل: أي رجل معقد هذا؟ لكنه يشبه الماس الذي تتماوج الوانه تحت تأثير نور الشمس، وأجاب بسلاسة:

«بالأحرى، هي رحلة الليلة التي اتت بي الى هذا المكان».

ادخل سيارته الى موقف المبنى وهو يستفسر.

«هل سبق أن اكلت هنا؟».

كان البناء عادياً، تشير احدى اللوحات المعلقة على واجهته المضاءة باللون الليلكي الى اسم مطعم شعبي، وقد لفت انتباه جاسيكا وهي تجول بصرها على زجاج النوافذ فأجابت قائلة:

«لا اذكر أني زرت هذا المكان ام لا».

«لا عجب في الأمر ان لم تريه من قبل».

توقف محرك السيارة عن الدوران لكن برودي لم يسرع في النزول بل ظل جالساً يتأمل البناء الصاخب، وكأن له فيه ذكريات عذبة وقال لها بعد برهة:

«عندما كنت صبياً، كان يصحبني والدي معه كل نهار جمعة الى هذا المكان. كان يوم القبض واعتدنا ان نتناول العشاء هنا خارج المنزل... وعندما كبرت، بقيت ارتاد هذا المكان مع اصدقائي... هذا النهار مررت بعد الظهر خصيصاً لارى اذا كان كل شيء باقياً على سابق عهده، ولكن لم اعد متأكداً من جودة طعامه. هل تريدين ان تجربيه؟».

وتبادر الى جاسيكا أن برودي يحاول امتحانها ليعرف ما اذا كانت تتمسك بالمظاهر الارستقراطية فترفض ان تدخل الى مثل هذا المكان الوضيع. فقالت في نفسها ان كانت له هذه النية، فليفهمني على حقيقتي. فأجابت بصوت حاسم:

«ولم لا؟ لا يمكن ان يكون جميع هؤلاء الناس على خطأ».

واشارت بيدها الى الاعداد المتجمعة حول الطاولات في المطعم.

ترجل برودي وخف يفتح لها الباب لكن جاسيكا سبقته. والتقى الاثنان عند مقدمة السيارة، فاتجها معاً نحو المدخل. قال برودي وهما يقتربان من طاولة شاغرة:

«يجب ان اعترف لك بشيء آخر».

«وما هو هذا الشيء؟».

وجلس الاثنان متقابلين وراح يستكمل ذكرياته:

«الى هنا كنت ادعو الفتيات خصوصاً الحسناوات منهن. كنت اتوخى المكابرة امام باقي الفتيات».

كانت بسمته تعكس كالعادة سخريته اللاذعة، لكن جاسيكا لم تبادله البسمة بل علقت قائلة:

«لو قبلت جوردانا مرافقتك لكنت اصطحبتها بالطبع الى هنا... فهل تعمدت المجيء بي الى هنا لتعوض عن الخيبة التي منيت بها بسبب شقيقتي؟».

«ربما يكون الأمر كذلك».

كانت جاسيكا واثقة من ان هذا هو الدافع الأساسي لدعوته لها.

قدمت لهما الخادمة لائحة الأطعمة فألقت عليها نظرة سريعة وسط الضجيج المتصاعد من كل اتجاه. وسألها برودي:

«هل قررت ماذا ستطلبين؟».

فأجابته بدون ان ترفع نظرها عن اللائحة:

«ليس بعد... هيا اطلب انت ما تريد».

«اذكر ان معظم رواد هذا المطعم كانوا يفضلون الهامبرغر والبطاطا المقلية والخضار. ساطلب صحناً مشكلاً من هذا النوع مع كوب من عصير الليمون».

ثم نادى الفتاة.

أطبقت جاسيكا اللائحة قائلة للفتاة:

«لا بأس. انا ايضاً اريد الصحن نفسه بالاضافة الى كأس من الحليب».

وما أن ابتعدت الفتاة حتى استدرك برودي قائلاً:

«لماذا لم تطلبي أي شيء آخر؟».

«لا عليك. انا أيضاً احب الهامبرغر والبطاطا المقلية».

وعادت الذكريات المرة والحلوة الى برودي فقال:

«ما زلت اذكر عندما كنت ادعو احدى الفتيات الى هنا، وانا افتقر الى المال الكامل. كم مرة وضعت يدي على قلبي وانا اتساءل: ماذا لو طلبت ضيفتي قطعة من اللحم الغالي الثمن! كيف لي ان اخرج من هذا المأزق؟

وابتسم قليلاً، ثم استرسل:

«حتى السادسة عشرة ما كنت افهم ما يعني صحن الشاتوبريان ولا كيف يلفظ هذا النوع من الطعام».

وسحب علبة السكائر من جيبه.

«هل تريدين سيكارة؟».

أخذت جاسيكا واحدة فأشعلها لها بقداحته الذهبية، ثم استقامت على كرسيها وهي تحدق بالقداحة الثمينة وقالت:

«انها نسخة طبق الأصل عن واحدة رأيتها في ماتشبوكس».

فعلق برودي ساخراً:

«ماذا تعرفين عن ماتشبوكس؟».

«كثير من الشركات تنشر اعلاناتها في هذا الكتاب الاعلامي. ثم انها مهنتي واعرف ثمن كل قطعة معلن عنها في الماتشبوكس».

حين ذكرت عملها اراد برودي استجماع المزيد من المعلومات عن محدثته فسألها:

«أي مركز تشغلين في الشركة؟ لا اشك انك مميزة؟».

«ان كنت تظن ان خالي انعم علي بالوظيفة لانني ابنة شقيقته فأنت مخطىء. ثم القرابة شيء والعمل شيء آخر».

«على أي رجل أعمال ان يتغلب على عواطفه والا فشل».

وعاد يسأل عن طبيعة عملها ثانية باعتبار انها تهربت من الجواب المطلوب.

«ماذا تفعلين في الشركة بالضبط؟».

«ادقق في الحسابات. وبهذه الطريقة اكتسب الخبرة لكي استطيع فيما بعد تسلم حسابات كاملة».

كانت تبدي هذه المعلومات وكأنها تدافع عن نفسها.

«خالك متحجر القلب ولا يفي الجمال حقه. صدقيني لو اتيت الى مكتبي وتقدمت بطلب اية وظيفة فلن اتردد لحظة واحدة في الترحيب بالعينين الخضراوين».

اية قوة رجولية يملك برودي فكلماته تخترق الجوارح وتنفذ نظراته الى الاعماق!

حاولت جاسيكا تغيير الحديث لتخفي الرعشة التي اعترتها في تلك اللحظة وقالت له:

«في أي مجال تعمل انت، لم تحدثني عن ذلك من قبل؟».

فأجاب وهو ينفض رماد سيكارته:

«الأمر بسيط اجمع الأشياء المتخلخلة والمحطمة وأعيد اللحمة الى

اجزائها».

«أي نوع من الاشياء؟».

«شركات وفي غالب الأحيان مصانع».

«اذن انت تملك الآن مجموعة شركات متكاملة».

«لا بل اني اشتري اسهم شركة على وشك الافلاس. اعيد تنظيمها لكي تعود اليها مكانتها الاقتصادية. ومن ثم ابيعها واحقق الارباح».

«لماذا لا تعود الى المدرسة وتأخذ دروساً متخصصة في ادارة الاعمال؟».

«لقد تعلمت منذ أمد بعيد ان تسعين بالمئة من المعلومات الضرورية للحياة مشاع وملك للجميع. والعشرة بالمئة المتبقية يمكن شراؤها من ذوي الاختصاص».

كان نظره يسرح عبر دخان سيكارته المتصاعد وهو يسترسل في الحديث:

«لم اكن اتحمل الحياة المدرسية فهم يدرسوننا عدة مواضيع قلما تفيدنا بشيء على الصعيد العملي».

واستفسرت جاسيكا:

«لهذا السبب تركت المدرسة؟».

«في بادىء الأمر تركتها لأني كنت اعتقد انه لا ينقصني الذكاء في مواجهة امور الحياة. ولم اعد اليها فيما بعد لأني تبينت جهلي. كان علي ان استدرك فأثقف نفسي، لكنني وجدت ان الأمر صعب».

كانت جاسيكا تحدق به ونظرات الاعجاب تملأ وجهها وتشعر انه لا يفاخر ولا يكابر، انما يشرح بهدوء المسببات التي ابعدته عن المدرسة. وازدادت قناعتها بأنه كان ظالماً تجاه نفسه بقدر ما كان عنيفاً تجاه الغير فسألته:

«وكيف بدأت تجارة الشركات لتمارس بعدها هذه المهنة؟».

فراح بروي قصته بهدوء تام:

«تعرفت الى شاب في كولكفيل. يملك محل لحوم، لكنه لم يكن بامكانه دفع الأيجار المطلوب. وكان يحتاج للمساعدة. فعرض علي فكرة الشراكة، وقبلت العرض. بعد سنة ونصف اشترت شركة لحوم كبيرة حانوتنا فظل يعمل هو بامرتهم. اما انا فأخذت حصتي واشتريت حانوتاً لتصليح المفروشات الخشبية. في المرحلة الثالثة تبينت اني لست بحاجة لشريك ولا لأن اشتغل بيدي. كان عليّ ان افتش عن المفروشات القديمة، ابتاعها بأثمان بخسة ثم استأجر مهنيين يعيدونها الى سابق عهدها. ثم أبيعها باسعار مرتفعة».

«وبمثل هذه السهولة انطلقت؟».

«أجل بمثل هذه السهولة».

توقفت الخادمة لتجمع الصحون الفارغة. لم يبق في صحن جاسيكا سوى قطعة من الهامبرغر وقربها ورقة خس وقطعة من البصل، ترددت، في تناولها وحين لمح برودي شهيتها الى البصل قال:

«هيا كلي البصل سنشتري علكة عندما نخرج. فتزول الرائحة».

فتساءلت جاسيكا في سرها: غريب! من أين له هذه القدرة على قراءة الافكار والنظرات؟ فأومأت برأسها انها لا تريد تناول البصل ثم ابتلعت آخر قطعة هامبرغر، وهي تدرك معنى نظراته الساخرة لأنه رآها تحرم نفسها من قطعة البصل. فعادت تسأله:

«لقد ذكرت سابقاً انك سوف تسألني عن الاشخاص الذين كنت تعرفهم هنا. من مثلا؟».

وطفق يذكر مجموعة من الناس الذين تعرفهم أو سمعت باخبارهم وكأنه يتعمد ايهامها ان معظم معارفه القدامى هم من

اصدقاء اخيها وشقيقتها.

عندما انتهيا من الطعام. طلب برودي فنجاناً من القهوة فاعتذرت جاسيكا عن أخذ سيكارة ثانية قدمها لها. أحنى رأسه لاشعال سيكارته فتمددت اسارير وجهه بينما راحت جاسيكا تتأمل خيوط شعره الحالك المتناسقة مع زرقة عينيه!

رفع بصره نحوها فوجدها تحدق به باهتمام وهي ترتشف كأس الحليب ببطء. وعندما التقت عيناها بعينيه حاولت ان تتحرر من عنف نظراته فقطعت الصمت قائلة:

«هل تغيّر هذا المكان منذ كنت ترتاده ايام زمان؟».

أجاب وهو يلقي نظرة شاملة على المطعم:

«ليس كثيراً: لقد اعيد دهانه وغيروا مكان علبة الموسيقى. هذا كل ما اذكره».

«لا شك ان هذا المكان يعيد اليك ذكريات جميلة».

«أجل...».

كان برودي يبدو شارداً وهو يسترجع الماضي ثم قال:

«انه يذكرني باشياء لا احب ان آتي على ذكرها». وارتشف جرعة من القهوة وتابع:

«عندما كنت صبياً كنا دائماً في عوز. اثاث بيتنا، سيارتنا، كل ما نملك اشتريناه مستعملاً لا جديداً. لذلك عقدت النية ان اشتري كل شيء من افضل صنف عندما اكبر».

«وهل انت تملك الآن اجود الأصناف؟».

«ليس في كل شيء. لكني اعمل جاهداً في سبيل ذلك».

وأطفأ سيكارته قائلاً:

«هل انت على استعداد للانصراف؟».

«أجل».

وضعت كوب الحليب جانباً وغادرا المكان.

سألها برودي وهو يدير محرك سيارته:

«هل تودين الذهاب في نزهة؟».

وارادت جاسيكا ان تسأل عن الجهة التي سيقصدونها، لكنها عدلت عن هذه الفكرة لأن سؤالاً كهذا قد يعني عدم ثقتها به، وهي لا تريد ان توحي بذلك، فوافقت على اقتراحه: «انها فكرة جيدة».

توقفت السيارة وسط الازدحام فدفع برودي شريطاً الى المسجلة، فتوزعت الأنغام على مكبرات الصوت وأكمل حديثه وهو ينظر اليها بتودد:

«أظنك لا تعترضين على الموسيقى الكلاسيكية. اعجبتني هذه المقطوعة مع اني لا احسن تحليل اجزائها».

«حسناً، دعنا نستمع اليها».

لقد مضى زمن طويل ولم تستمع الى سمفونية موسيقية. قد يعود هذا التاريخ الى سن الدراسة. لكنها كانت تطرب مثل برودي للأنغام المعبرة وهي مستلقية على المقعد الوثير. وما هي الا فترة وجيزة حتى اصابتها حالة من الشرود. في البداية كانت تدرك الاتجاه الذي يسيرون فيه، ولكن سرعان ما فقدت هذا الادراك. ولم تجهد نفسها في تحري الطريق التي يجتازونها. فقد لاحظت انها مليئة بالناس والسيارات ولا مبرر للتخوف. اغمضت عينيها للحظة ثم فتحتها لتتأمل السقف الداخلي.

فجأة مالت السيارة باتجاه جديد، مما دل انهما سيعبران شارعاً اخر. لكن جاسيكا لم تنظر خارجاً لترى الى اين هما ذاهبان فقد كان الصوت المنفرد في السمفونية يستأثر بانتباهها. مالت السيارة ثانية لتسير ببطء على ارض كثيرة التعاريج فعاد الى جاسيكا وعيها التام.

اوقف برودي سيارته في باحة خالية، امام مبنى كبير بدا كأنه احد

المستودعات. كان الليل يسدل وشاحه على المنطقة بكاملها.

التفتت جاسيكا الى الوراء فوجدت ان الطريق فارغة من السيارات، وفي الجهة المقابلة ارسل القمر ظلاله الشاحبة على سطح المياه. فألقت نظرة اعتراض باتجاه برودي، لكن الظلمة حجبت معانيها عن عينيه وحالت دون ان تستكشف نواياه، فسألته وهي تحاول ان تبدو محافظة على اتزانها:

«اين نحن الآن. . . هل هو المكان الذي اعتدت ان تتوقف فيه مع عشيقاتك؟».

«لا لم اكن املك ثمن الوقود لكي اقصد مثل هذا المكان البعيد».

كان ضوء القمر يوزع اشعته الخلابة فأضاف باعجاب:

«كم هو رائع ان نجلس بعيداً عن الضجة والناس! انظري كيف ان القمر يرتمي في البحيرة!».

«البحيرة؟ هل هذه بحيرة شيكاموغا ام انه نهر تانيسي؟».

«انها بحيرة شيكاموغا».

«ماذا سنفعل هنا؟».

واحست جاسيكا بأن ضربات قلبها تتزايد تدريجياً وهي تفكر: ان لم يكن ينوي تجديد مغامراته هنا، فلماذا يصطحبني الى هذا المكان؟

«هناك شيء اريد ان اريك اياه».

فتح باب سيارته وترجل منها بينما ظلت جاسيكا ثابتة في مكانها. لم يكن لديها اي تصور عما يريد ان يريها. هل دق ناقوس الخطر؟ لأول مرة احست بالخوف الحقيقي وهي تفكر انها الآن غنيمة في يد رجل غريب.

فتح برودي الباب ومد يده ليساعدها على النزول، فاظهرت انها تتعثر فقال:

«هيا ما بك؟».

فهمست:

«الى اين نحن سائران؟».

لكن ضحكته الهادئة خففت من حدة اضطرابها المتصاعد.

٤ - قليل من الخوف يفيد

نظرت جاسيكا اليه بانفعال وازدراء وقالت:

«أتظنني سعيدة؟ اية مهزلة!».

فهز رأسه معلقاً:

«لقد سألتني من قبل عن سبب عودتي الى شاتانوغا. هل ترغبين في معرفة السبب الحقيقي؟ انه التحدي».

كانت حواسها تصرخ بالرفض، لكن شجاعتها تحونها في مواجهته، ومدّ يده ليسعفها على النزول فقبلتها متأففة وترجلت بدورها.

سارت بضع خطوات باتجاه المبنى المظلم واذا بصوت يهتف:

«ان المكان مقفل. عليكم الحضور غداً خلال ساعات العمل

العادية».

وسأل برودي:

«أولست آرت مازون، حارس المبنى؟».

«انا هو».

«انا برودي هايس التقيتك بعد الظهر. نريد القيام بجولة ليلية».

كانت نبرة صوته تنتظر الموافقة، وأتى الجواب المنتظر فوراً:

«عذراً سيد هايس، لم اعرفك لقد حجب الظلام وجهك عني!».

القى برودي بيده على كتفي رفيقته واكملا الطريق الى الداخل وهو يقول:

«لا بدّ ان نزيد الاضواء لتصبح الانارة شاملة».

ففهمت جاسيكا انه اشترى المبنى حديثاً.

وبزغ من الظلمة رجل ناهز الخمسين بزيه الرسمي، اندفع نحو الباب الامامي ليفتحه امامها. ولفت انتباه رئيسه وهو ينير امامه الطريق بضوء يدوي:

«ان زر الانارة في القاعة الكبرى مثبت قرب الباب على الحائط الايسر».

عندما انتشر النور في الممر الداخلي انصرف الحارس مضيفاً:

«عندما تغادران يكفي ان اسمع الزمور لأنهض فاقفل الباب».

مشى برودي بضيفته الى الداخل، وهي تجول بطرفها في كل اتجاه علّها تستطيع ان تحدد نوع عمله. ثم سألته:

«هل هذه احدى الشركات التي تنوي ترميمها؟».

«ستصبح قانونياً هكذا، غداً التاسعة صباحاً، عندما اوقع عقد البيع».

«اعذرني اذا قلت لك لا اعرف اين نحن».

«هل سمعت بمراكب جانسون».

وفتح الباب المؤدي الى الشرفة.
«امكثي هنا الى ان اعثر على الزر الكهربائي».
«مراكب جانسون؟».
كانت تحاول ان تتذكر وقد حجبت الظلمة وجهه عن عينيها وأضافت:
«اعتقد ان احد زبائننا قد حدثنا عن هذه الشركة، ليس من زمن بعيد. انهم يصنعون المراكب الصغيرة. اليس كذلك؟».
«اجل مراكب صغيرة».
دخلا غرفة وسيعة، ظهرت فيها مجموعة من اشكال المراكب المتنوعة، فراحت جاسيكا تدلي بمعلوماتها حول هذه الشركة:
«اعتقد ان جانسون قد غادر المدينة مع عائلته منذ خمس سنوات بعد ان باع شركته. احد زبائننا، كان صديقاً لهم ولما عرف بالبيع، اعتبرهم من المحظوظين لانهم تخلصوا من شركة على وشك الافلاس».
«على العكس، كانت شركته مزدهرة يوم باعها. المالكون الجدد استفادوا من شهرته فراحوا يصنعون المراكب المتدنية النوعية، ويطلبون اثماناً باهظة. وهكذا استنفدوا كل ثروات الشركة، ولما نفد الزبد قرروا تصفيتها».
كان برودي يتكلم وجاسيكا تشق طريقها وسط الاخشاب متجنبة الاصطدام بالسلالم والالواح المبعثرة. وفجأة توقف ليتأمل الهياكل الخشبية فسألته:
«هل تعلم شيئاً عن صناعة المراكب؟».
«لا اعلم شيئاً مهماً. استطيع تمييز المقدمة عن المؤخرة».
«كيف اذن تبغي اعادة ترميم هذه الشركة المفلسة؟».
«انها نسبة العشرة بالمئة التي يمكنني شراؤها. سأغدق المال على

الرجل الخبير في بناء المراكب».
وبدت غير مقتنعة بوجهة نظره.
«ومن ستستأجر لهذا العمل؟».
«عندما علمت بمشاكل هذه الشركة، رحت اتحرى الملابسات فعلمت ان جانسون مستاء مما آلت اليه «مراكب جانسون» حدثته البارحة وعرضت عليه منصب الرئاسة. فقبل العرض».
«لماذا؟».
«لانه يريد العمل ويهمه ان يرى شركته تستعيد عافيتها».
وكادت جاسيكا لا تصدق كيف ان رجلا يشتغل لمصلحة شركة بامكانه امتلاكها. فسألت مستغربة:
«اذا كانت هذه الحقيقة، فلماذا لم يبتع الشركة لنفسه؟ الا يملك المال الكافي؟
فشرح لها برودي الاسباب:
«جانسون يملك المال لشرائها. لكنه تقدم في السن ولم تعد تستهويه المغامرة».
«ولكنك انت تغامر!».
«انا لن اخسر شيئاً».
«ومالك؟».
واجابها بلهجة متواضعة:
«يمكنني تسديد الخسارة».
مشى برودي فلحقت به خوفاً من ان تضل طريقها وسط الاخشاب المتراكمة وقالت مستطردة:
«ان الموضوع يستحق منشورة دعائية قيمة عنك».
التفت اليها موافقاً:
«اجل ان خبر عودة جانسون الى الشركة يشكل دعاية هامة. فهذا

الحدث سيضاعف الانتاج فوراً».

فأوضحت جاسيكا قصدها:

«لم افكر بجانسون بالرغم من اهميته. كنت اشير اليك».

«أنا!».

والقى نظرة عليها من اعلى رأسها حتى اخمص قدميها واضاف:

«تريدين القول ان فتى ضل طريقه في المدينة فرجع الى البيت ثرياً. انها قصة ساندريلا معكوسة».

«شيء من هذا. أليست هذه الحقيقة؟».

«معك حق، لكني لا احب الدعاية لنفسي».

كانت جاسيكا تسير بالقرب من برودي بعد ان اتسع الممر الداخلي بشكل يتيح لهما ان يمشيا جنباً الى جنب، فعارضته قائلة:

«لم لا؟ بهذه الطريقة تشرّع امامك ابواباً عديدة».

وكانت تتساءل في سرها: هل تراه ما زال مولعاً بطرق الابواب؟

ولكن برودي علّق بسخرية:

«هل تعنين الابواب التي كانت موصدة بوجهي؟ شكراً لنصيحتك افضل ان افتح ابوابي الخاصة بطرقي الخاصة».

وشمّر عن معصمه ليرى كم الساعة. وقال:

«الوقت اصبح متأخراً. غداً ستذهبين باكراً الى عملك. هل تريدين ان اعيدك الى البيت الآن؟».

«اجل. تأخرت اكثر مما توقعت. آمل ان لا تضل الممر المؤدي الى الخارج».

وانتظرته ريثما يطفىء الاضواء ثم اتجها معاً نحو الباب الرئيسي.

لم يلاحظ الحارس انصرافهما، لكنه ما ان سمع الزمور حتى لاح مع ضوئه اليدوي يعدو نحو الباب، في الوقت الذي كان فيه برودي يتهيأ للاقلاع.

كانت طريق العودة قصيرة جداً، وكانت جاسيكا تفكر طوال الوقت، كم من المعلومات جمعت عنه في ليلة واحدة! ورغم ذلك لا يزال الغموض يلف حياته. وامتلكها شعور بالخوف وبضرورة الابتعاد عن هذا الانسان الخطير. وحين بات على مقربة من مبنى شقتها أرادت ان تقطع الصمت بأي كلام فسألته:

«هل ان اهلك ما زالوا يسكنون هنا؟».

«مات والدي منذ عشر سنوات».

قبل عشر سنوات! اذن لم يتسن لوالده ان يشهد نجاحه ترى الا يحزنه ان يقضي ابوه بدون ان يغتبط لنجاحه في الحياة؟ وقالت بلهجة الاعتذار:

«عفواً، لم اكن اعلم ذلك».

فقال برودي بدون ان تبدو عليه علامات الحيرة:

«ليس هناك من سبب ليصلك خبر وفاته، فانت لم تعرفيه».

«كلا لم اعرفه».

«هناك أمر آخر تريدين الاستفسار عنه. اليس كذلك؟».

وتبادل الاثنان نظرة خاطفة، وبقيت جاسيكا ملتزمة بالصمت.

«انك تتساءلين عن امي».

حبست انفاسها مندهشة. كيف تراه عرف خفايا افكارها؟ فتابع موضحاً:

«لا اعلم اين هي فلقد تمّ طلاقها من ابي يوم كنت في الثانية من عمري. احد المقربين حاول البحث عنها بعد موت والدي لكنه لم يعثر لها على اثر».

كان يدلي بهذه المعلومات بصوت لا يعرف الحيرة ولا يشعر بالحنين الى الام التي اعطته الحياة: فبدى الفارق شاسعاً بينه وبينها. فأهلها ما زالوا يملكون جوارحها، وان كانوا يعيشون بعيدين عنها، اما هو

فلا يحن الى الام التي لم يرها ابداً!

حين توقفت السيارة امام شقتها، استفاقت جاسيكا من شرودها، ونزل برودي ليفتح لها بابها. ترجلت، فوضع يده على كتفها وكأنه ينبهها الى حلول وقت الوداع، وكنهاية كل لقاء لا بدّ ان يكون المشهد عاطفياً. تشنجت اعصابها وتضاعفت دقات قلبها، وتظاهرت بالبحث عن المفتاح في حقيبتها علّها تخفي اضطرابها المتصاعد.

«شكراً على العشاء» ولمست اصابعها المفتاح في قعر الحقيبة.

تساءلت: هل تراه ينتظر منها دعوة لشرب القهوة؟ كيف لها ان تتخلص منه في حال اوحى لها بالفكرة؟

اجابها برودي مبتسماً:

«كنت سعيداً باللقاء».

وقبل ان تدخل المفتاح في القفل، انتشله كالساحر من يدها. فتراجعت خطوتين لتتجنب اي احتكاك به. فتح الباب وقطع عليها الطريق. هل يبيت نية معينة؟

مدت يدها لتتناول المفتاح منه واذ اعتراها الخوف قالت بصوت مرتعش:

«شكراً من جديد وحظاً سعيداً في شركتك الجديدة».

ثم حاولت ان تتسلل نحو الباب ظناً منها ان هذه الحركة تعجل بانصرافه، لكنه لم يرجع اليها المفتاح بل اطبق يده ورفعها لتلامس وجهها ثم قال:

«انك تتساءلين ان كنت انوي معانقتك قبل الانصراف؟».

كان صوته بطيئاً فاحست جاسيكا انها ليست بمأمن. ما تراها تجيب؟ هل تتظاهر بانها تحسب قوله مزاحاً؟ ام تواجهه بالعنف؟ ايّ الموقفين افضل؟ وبسبب ترددها هذا خسرت الجولة الاولى،

وظهر ان برودي هو الاقوى، فراحت اصابعه تداعب وجنتيها. بينما هي ترتجف كورقة النخيل.

«اظنك خائفة مني».

تنهدت بصعوبة واجابته بصوت متقطع:

«اظنك تحاول ان تخيفني».

ثم استعادت انفاسها وكأنها تهنىء نفسها على هذا النصر الهزيل فهي لم تفقد صوابها كلياً. واستطاعت ان تتفوه ببضع عبارات. . .

«قد تكونين على حق».

وابعد يده عن وجهها من دون ان يعيد ذلك اليها التوازن والهدوء بل بقيت اعصابها مشدودة وهي تسمعه يقول:

«قليل من الخوف مفيد. فهو يرهف الحس ويسهل دفقات الدورة الدموية».

كانت كلماته تحدد بالضبط حالتها النفسية، فهي خائفة وليست مرتعبة. لكن برودي لا يزال يسيطر على الموقف وهو يتفحص تقاسيم وجهها بدقة ثم طمأنها قائلا:

«لا عليك. لن اقبلك. تصبحين على خير».

وتراجع الى الوراء دون ان تفارقها عيناه. وقبل ان ينصرف اضاف:

«لا عناق هذه الليلة».

ولم تنتبه جاسيكا الى مغزى ملاحظته حتى اقفلت الباب فعرفت انه أجّل العناق. لكنه لم يتخل عنه. واستغربت لماذا لم يسألها عن موعد جديد؟ ثم لم يشر الى انه سيتصل بها. ربما بسبب كثرة اعماله، لا يعرف متى يمكنه الاتصال.

كانت تسمع وقع خطاه في الممر الخارجي. وتراهن على انه سيدعوها من جديد وستكون المغامرة اشد خطراً. لقد رافقته هذه

المرّة كي لا تنكث بوعدها في قبول دعوته الى العشاء. لكنها في المرة المقبلة سوف تتحاشى الوقوع في الخطأ نفسه فهي تعي قدرته وجاذبيته، لذلك يفترض بها ان تبتعد عنه.

امضت جاسيكا عدة ايام وهاجسها الوحيد اتصال هاتفي من برودي، وجاءت عطلة نهاية الاسبوع بدون ان تحظى باي خبر. في باديء الامر، عزت الامر الى انشغاله بالشركة الجديدة. ثم ظنت ان اعمالا اخرى استدعته خارج المدينة. وفي منتصف الاسبوع التالي، تهيأ لها انه لم يعد يكترث للقاء بها. وترسخت هذه القناعة في رأسها وهي تفكر انه كان يبغي التحدي. واحست انها طعنت في صميم كرامتها. كان يجدر بها ان تكون ابعد نظراً وتصده منذ البداية.

كانت في مكتبها عندما قرع الباب.

«من؟».

ودخلت السكرتيرة آن مورو قائلة:

«احد عمال المطبعة ترك لك هذا».

تناولت جاسيكا الظرف الكبير، فاضافت آن:

«المطلوب التدقيق فيه».

فتنهدت جاسيكا معترضة:

«لكن هذا ليس من اختصاصي».

فبرّرت آن موقفها:

«ما كنت ارغب ان اجلب لك هذا الملف القديم. لكن السيد دان لا يريدك ان تطلعي على الملف الجديد».

ورفعت جاسيكا رأسها مستفسرة:

«ملف جديد؟».

ضحكت آن:

«كم من الملفات تمطرها السماء!».

وقبل ان تعلن جاسيكا انها لم تفهم شيئاً، رنّ الهاتف في غرفة الاستقبال فركضت آن لترفع السماعة. وتبعتها نظرات جاسيكا الفضولية. لقد اعطتها معلومات ناقصة. من تراه يكون الزبون الجديد؟ قد يكون غيرها في الشركة اهتم بفتح هذا الحساب، ولكن لماذا كتم خالها عنها الأمر، فمن عادته اطلاعها على الملفات الجديدة؟

اخرجت الاوراق من الظرف وبدأت التدقيق فيها. فاكتشفت عدداً كبيراً من الاخطاء كان بالامكان تلافيها فاتصلت بمؤسسة الطباعة لتعلن لهم رأيها بعملهم، وطلبت منهم ان يحضر احدهم ليأخذ الاوراق مصححة. ثم نادت آن بعد ان خرجت من مكتبها:

«سيحضر احدهم ليسترجع هذا الظرف».

«ولكني ذاهبة الى الغداء».

تطلعت جاسيكا الى ساعتها فلاحظت انها الحادية عشرة والنصف فاعتذرت من آن.

«لم اكن اعلم كم الساعة. يكفي ان تتركيه على مكتبك». . .

يا للمفاجأة! فتح باب مكتب خالها، وخرج منه برودي يرافقه رجل يرتدي بدلة رسمية وربطة عنق وبانت عليه مظاهر رجل الاعمال الناجح، فتذكرت كلمات آن منذ دقائق. هل كانت تشير الى برودي وهي تتحدث عن الملف الجديد؟ حياها، وقبل ان يفسح لها المجال لرد التحية، سارع الى تقديم الشخص الآخر:

«لا اظنك التقيت السيد جانسون من قبل».

كهل ضعيف البنية، كثيف الحاجبين، رمادي الشعر، يبتسم بدون تكلف ويوحي مظهره بالثقة.

ومدّ الرجل الغريب يده للمصافحة قائلا بلباقة:

«يسعدني ان اتعرف عليك يا آنسة ثورن. الآن ادركت مدى قدرتك على الاقناع».

«قدرتي على الاقناع؟».
واستدرك برودي:
«لا داعي للتواضع يا جاميكا ان السيد جانسون اقتنع بمقترحاتك.
«مقترحاتي؟».
واحست انها تشارك في حوار الطرشان، فتدخل خالها ليقول:
«أجل كانت فكرة ممتازة، فالاعلان الدعائي الذي اقترحته للسيد هابس سيعيد للشركة امجادها الماضية».
وردّد جزءاً من الاعلان المقترح:
«من جديد جانسون الى القيادة».
كل هذا لم يكن يعني لها اي شيء، ولم تكن تدري عما يتكلمون. فهي لم تقترح او تنصح برودي باللجوء الى شركة خالها لاعلاناته الخاصة. وقبل ان تزيل سوء التفاهم هذا، استعجل برودي قائلاً:
«سيد جانسون ستتعاون مع هذه الشركة، انا سعيد بلقائك يا سيد دان. بالمناسبة لا اظن ان في الامر اي ازعاج فيما لو دعوت ابنة شقيقتك لتناول الغداء معي».
وابتسم خالها موافقاً:
«من الأكيد لا اعتراض لديّ».
حاولت جاميكا الاعتراض لكن برودي سبقها:
«اين معطفك؟».
«في المكتب».
كانت تريد ان تقول كلاماً كثيراً، لكن يده امسكت بساعدها وسار بها نحو الباب.

٥ - تصبحين على خير

ادخل برودي جاميكا الى مكتبها وأغلق الباب. حدقت به وقالت غاضبة:
«هل تتكرم وتفهمني ماذا تريد؟».
تناول معطفها المعلق على الحائط وتقدم نحوها لالباسها اياه، وعندما لم تعترض، امسكها رباط حقيبتها، وهمّ ليتجه بها نحو الخارج، لكنها حررت يدها من قبضته سائلة:
«وماذا تريد؟».
فأجاب:
«اني اصطحبك الى الغداء».
«لكني لم اوافق».

أحنى رأسه وسألها:

«هل تلبين دعوتي؟».

«آسفة لا أريد ان اذهب الى أي مكان».

ثم ألقت بحقيبتها على الكرسي وبدأت تخلع معطفها، فقال لها معاتباً:

«الآن فهمت لماذا لم تعطيني عنوانك...

وارتفعت يداه حتى منكبيها وكأنه يتهيأ لمعاونتها على خلع معطفها. كان يتمتم بدون ان يفصح عما يقول فسألته مستفسرة:

«ماذا تقول؟».

«اتكلم عن المرة السابقة، يوم قبلت دعوتي الى العشاء. كنت متأكدة اني اجهل عنوانك وتستبعدين امكانية حصولي عليه».

كانت يداه على كتفيها فسألته مستوضحة:

«لماذا ازعجت نفسك في البحث عن مكان سكني، ما دمت قد اكتشفت نيتي في التهرب من اعطائك عنواني»؟

وبحركة عصبية رفعت رأسها وكأنها تبعد عن ذهنها عقدة الشعور بالذنب من تصرفها هذا، فقال لها برودي:

«دعوتك للعشاء وقبلت. وأنا دائماً انفذ ما اقرر عمله، واحياناً اعلم ان الآخرين يتراجعون عن وعودهم لكن اسعى لمساعدتهم على الوفاء بوعودهم».

وتناول المعطف من جديد، وحاول ان يلبسها اياه بدون ادنى اضطراب، فأحست ان الأرض تهتز تحت قدميها، وادركت ان برودي يحصل بشكل او بآخر على ما يريده، وان معاندته لا تجدي وسألها كأنه يخاطبها للمرة الأولى:

«هل سنتغدى معاً؟».

فأدركت ان الاعتراض لا ينفع وان برودي من النوع الذي يأبى

الاستسلام. فسارت امامه بلا جواب.

تقدم نحو الباب فتحه وخرجا معاً، لكن جاسيكا توقفت عند مكتب السكرتيرة مظهرة عدم اكتراثها بالرجل الذي يمشي الى جانبها. وقالت لها:

«اذا سأل عني أحد قولي له ذهبت الى الغداء وستعود عند الساعة الواحدة».

واضاف برودي:

«ربما تتأخر عن الواحدة».

وقبل ان تستطيع جاسيكا معاكسته، اتجه بها نحو الخارج، بينما نظرات السكرتيرة الحسودة تلاحقها، فتأكدت ان برودي قادر ان يغزو القلوب منذ النظرة الأولى. ولم العجب؟ ألم يستأثر بانتباهها يوم كان واقفاً بمحاذاتها عند اشارة العبور؟ لقد حدقت به ملياً يومها، ولم تستغرب وجهه، وفي النهاية فرض نفسه عليها.

عندما دخلا السيارة المتوقفة عند الرصيف، عرض عليها برودي فكرة تناول الغداء في محطة السكة الحديدية، فلم تعر اي اهتمام للمكان، ولم يحاول هو الاسترسال في الحديث بل راح يهتم بالقيادة وسط الازدحام واتجه نحو محطة شاتانوغا. توقفا في الباحة الخارجية ودخلا المبنى الذي توزعت فيه المطاعم والمحلات.

«أظنك تناولت الطعام اكثر من مرة هنا».

فأجابته بلهجة جافة:

«ليس من زمن قريب».

«لم آت أبداً الى هنا من قبل. لم يكن بوسعي تسديد الفاتورة».

وتذكرت جاسيكا حالة برودي التعيسة في الماضي. انه انسان عصامي بنى نفسه بنفسه حتى اضحى قادراً على ان يحصل على ما يريد بعد ان شق طريقه، وبات جديراً بالاحترام...

دخلا المطعم فوجدا ان الطاولات مكتملة، فقد توافد السواح باعداد غفيرة الى المكان. دقائق معدودة وتمكن برودي من اقناع الخادمة بايجاد طاولة لهما قرب النافذة مطلة على الحديقة.

فتحت جاسيكا لائحة الطعام وطلب برودي كوبين من العصير بانتظار ان يتفقا على المآكل التي سيطلبانها.

كانت جاسيكا مستعجلة، واعترضت وهي ترى برودي يتباطأ في الطلب:

«عليّ ان ارجع قبل الواحدة».

«لا يهم اذا تأخرت عن عملك».

«تظنني قادرة ان اعود الى المكتب ساعة اشاء باعتبار ان خالي صاحب الشركة! الحقيقة هي غير ذلك. عندي مهام يجب ان اتممها في الوقت المطلوب. فأنا لا اتقاضى مرتبي بدون عناء».

«لن يغضب خالك اذا تأخرت اليوم بسبب غدائك».

وتوقف قليلاً ثم اضاف:

«خاصة انك تتناولين الطعام معي. على كل حال انا زبون جديد وحساباتي سوف تدر على شركتكم ارباحاً طائلة».

وعلقت جاسيكا:

«هذا أمر لا يعنيني. ثم ما معنى هذه الرواية التي حيكت حول تدخلي في اقناعك للتعاون مع المؤسسة ولم يكن لي علاقة بهذه القضية؟».

ارتشف جرعة من العصير وقال:

«لا تكوني ساذجة يا جاسيكا. الفضل يعود اليك. انت الدافع الوحيد. انا الذي طلبت من جانسون ان يتعامل مع شركة خالك للاعلانات».

واصفر وجهها أمام التصريح المفاجىء فقالت من دون انتباه:

«ولم أنا؟».

لم تدر كيف صدر عنها هذا السؤال. ليتها تستطيع استرداد كلمتها لتخفيها في قرارة نفسها.

«لأن لك شعراً عسلياً وعينين خضراوين. ثم اريد التقرب منك... بأي ثمن».

وتردد قليلاً في لفظ العبارة الأخيرة وكأنه يتوخى اعطاءها الأهمية البالغة. فشعرت بالنار تتدفق في شرايينها، ولاح الاضطراب في مقلتيها النضرتين.

فسألها برودي مازحاً:

«هل كان لك ماض مع رجل آخر».

حاولت ان تتهرب من السؤال وتجيب بأي شيء، لكن الكلمة خانتها فدفعت كوبها لترتشف جرعة من العصير. ثم تعمدت ان تظهر نفسها متعبة، لا قوة لها على الحديث بينما تابع هو حديثه:

«وبعد؟».

«وبعد ماذا؟».

«ما رأيك لو يكون لي دور في حياتك؟».

كانت جميع حواسه مرهفة، تتعطش للحب وتتوق اليه، لكن المكابرة بدت على جاسيكا برغم ان كلماته ونظراته نفذت الى اعماق قلبها، فأجابته:

«عليك ان تنتظر وسترى».

ابتسم وأجاب:

«لن استعجل عليك؟».

فاعترضت على ملاحظته:

«أفهم من كلامك انك تنذرني لكي اوافق. لماذا تضيع الوقت. من الأفضل ان نطلب طعاماً».

وراحت تبحث في لائحة الطعام، متأكدة انها لن تربح في تلك المعركة الكلامية.

«ماذا تريدين ان اطلب».

«باعتبار اني لا اعرف ذوقك، لا يمكنني الايحاء لك بشيء معين».

«تعرفين ذوقي. اريد دائماً الافضل، ولا شيء سوى الأفضل».

ورفع نحوها بصره الثقاب، ففهمت انه لا يعني المأكولات.

«ولكن الأفضل يختلف بين شخص وآخر، وعليك ان تختار بنفسك. انا مثلاً افضل السلطة بالبندورة والزيت والحامض».

وطلب برودي من الخادم ان يحضر لها السلطة المذكورة بالاضافة الى قطعة لحم والبطاطا المقلية.

«ما بك نسيت كوب العصير؟».

ارتشفت جاسيكا جرعة قليلة من كوبها ثم استطرد برودي قائلاً:

«انا عادة لا اهتم للمرطبات. اما اليوم فأجده لذيذاً».

«لماذا؟».

«لأننا اجتمعنا انا وأنت».

ثم تناول كأسها وشرب منه جرعة واضاف:

«كنت افكر كيف يمكن ان تتكرر لقاءاتنا وان عليّ ان افعل شيئاً ما لأراك».

همست بصوت خفيض.

«هل أنت جاد في ما تقول؟».

فاستفسر برودي معاتباً:

«هل هذا يعني انك لم تكوني تنتظرين مني أي اتصال؟».

فتعمدت جاسيكا الكذب وقالت:

«لم يخطر هذا الأمر على بالي».

«مسكينة... هل اعتقدت اني تخليت عن فكرة العناق، وانا

أقول لك تصبحين على خير؟».

امام كلماته هذه شعرت جاسيكا بضرورة التهرب من لغة العواطف فقالت:

«أليس هناك موضوع آخر يمكن ان نتحدث به؟».

«شيء تافه، الطقس مثلاً».

«لا فرق عندي. الطقس، الاسعار، اي شيء».

كانت منفعلة وتريد ان تضع حداً لتجاوزات برودي. وأقبل الخادم في الوقت المناسب ليجمع الصحون الفارغة، فساد صمت كامل، قطعه صوت برودي وهو يسأل عن الفاتورة. بدا في تلك اللحظة معتدلاً هادىء الاعصاب وكأن جفاء جاسيكا لم يثر حفيظته. فأدركت كم تنقصها الخبرة للتعامل مع هذا الانسان المتزن، الذي يقوى على الغضب والانفعال والقادر ان يحافظ على رباطة جأشه ويتحكم بالأحداث ولا تفوته شاردة او واردة.

بعد الغداء حاولت جاسيكا العودة بسرعة الى المكتب لكن بد برودي، خففت من سرعتها وقال معترضاً:

«ما زال لديك متسع من الوقت لتعودي. ما رأيك لو نتفرج على واجهات المخازن؟».

ترددت برهة ثم ادركت انه على حق فما زال امامها متسع من الوقت، رغم ذلك حاولت ان تجد مخرجاً للتهرب فقالت:

«يبدو انهم في كافة المخازن منهمكون في عرض الأشياء الجديدة».

فأجابها مازحاً:

«منذ متى لا تحب امرأة التجول في المخازن؟».

دخلا، احد محلات الهدايا فراحت تتأمل السلع المعروضة وكان برودي يتبعها مراقباً كل ما يسترعي انتباهها، لكنها تظاهرت بانها لا

تعيره أي انتباه.

من بين الأشياء المعروضة، اعجبها شمعدانان خشبيان تناولتهما وراحت تدقق في الرسوم المحفورة عليهما. ثم قالت لا شعورياً:

«انهما رائعان!».

وردد برودي:

«انهما حقاً رائعان!».

ثم وضعتهما في مكانهما وتابعت جولتها تراقب التحف المعروضة على الرفوف. لحظات، والتفتت الى الوراء فوجدت نفسها وحيدة. نظرت يمنة ويسرة، فرأت برودي عائداً من قرب الآلة الحاسبة وبيده رزمة مغلفة بورقة هدية، فارتسمت على محياها علامات استفهام.

لكن برودي ازال الغموض من ذهنها:

«هذه لك».

وقدم لها الرزمة مضيفاً:

«انهما الشمعدانان اللذان اعجباك».

«لكن لم اكن اقصد ان تشتريهما لي».

«اعلم ذلك».

ودفعها الى يدها فتناولتها بيد مرتجفة. وحاولت ان تفتح حقيبتها باليد الأخرى وقالت:

«سأدفع لك ثمنها».

فرد جازماً:

«الم يعلمك اهلك كيف تتقبلين الهدايا بلطف، والابتسامة تعلو ثغرك؟».

ولمست يده جسدها بدون تكلف وكأنه اعتاد هذا التصرف معها من قبل، فاعتراها شعور غريب وشعرت بالنار تلتهم عروقها، لكنها امتلكت مشاعرها وردت بحزم:

«علمني أهلي ان لا اتناول الحلوى من الأغراب».

«ولكن لن نبقى غرباء الى الأبد يا جاسيكا!».

وامام موقفه هذا ادركت ان الرفض ليس عملية سهلة، فقبلت الهدية شاكرة. وتابع برودي قائلاً وهو يلامس عنقها بيده:

«لا تنسي الابتسامة».

فأبتسمت مرغمة علّها تتخلص من هذه الورطة.

خرجا من محل الهدايا فدعاها بلباقة لزيارة معرض الألعاب المتنوعة. فوافقت على الفكرة برغم ان قلبها كان يخفق بسرعة. شعرت وهي تسير باتجاه المعرض بأن اضطرابها يزول تدريجياً وانه لا داعي للقلق.

كان المعرض كناية عن قاعة فسيحة، عرضت فيها نماذج من شاتانوغا: الطبيعة الألوان المحلية، وسائل السير، القطارات، العربات، الأنفاق، الجسور، أشجار اصطناعية مستوحاة من مناظر جبلية، بيوت امامها المناشر وقربها سيدة تنشر غسيلها...

واكثر ما كان يلفت الأنظار سيارات الركاب وعربات النقل المتوقفة عند المحطات وقرب الأرصفة. باختصار كان هذا العرض مصمماً بشكل يثير الخيال عند الشباب والشيوخ على السواء. وقد اثارت مهارة الترتيب اهتمام جاسيكا، وارتسم الماضي في مخيلتها وهي تنعم النظر بأحد القطارات الصغيرة فقالت:

«كان جوستان يملك واحداً كهذا وضعه على طاولة غرفته لكنه لم يكن كبيراً بهذا الحجم. كم مرة دعاني لمشاهدته وهو يمشي بسرعة خاطفة! لكنه لم يسمح لي مرة واحدة ان استعمله».

في تلك اللحظة ارتفع صوت ولد في القاعة صارخاً:

«هل استطيع أن اشتري هذا يا أبي؟».

وكانت يده تشير الى جميع محتويات المعرض. فأجابه الوالد:

«ليس لدينا غرفة تتسع الى كل هذا. . . في كل حال، قد يحمل العيد لك قطاراً».

فرد الولد:

«شرط ان يتصاعد منه الدخان مثل هذا».

فطمأن الأب ولده:

«حسناً سيتصاعد منه الدخان».

«اذن انا بانتظار العيد والقطار الذي يشبه هذا».

ابتسمت جاسيكا قائلة:

«اني اراهن، بأن كل ولد يرى هذا المعرض يتمنى قطاراً، كهدية يوم العيد».

ثم رفعت عيناها نحو برودي لتسأله بشغف.

«هل حمل لك أحد الأعياد قطاراً يدخن كهذا؟».

اطرق برودي رأسه قليلاً ثم اجاب،

«كلا لم أحصل ابداً على قطار. . . كم من الأعياد مرت دون ان تدخل الهدايا بيتنا. لا ادري ان كان ذلك بسبب فقرنا، أم لاني كنت ولداً شريراً، يعاقبونه بالحرمان».

عندها لاحظت حزنه فأرادت جاسيكا ان تغير الموضوع فقالت:

«الله وحده يدين الناس».

واسند برودي رأسه على الحاجز الحديدي الذي يمنع المتفرجين من لمس الألعاب المعروضة وقال لها وهو يتأمل القطارات.

«كان والدي موظفاً في سكة الحديد».

«هل هذا صحيح؟».

اجابها وقد بدا الارتياح على وجهه:

«أجل، لقد اقعدته عن العمل حادثة قطار مشؤومة. كنت يومها في الخامسة تقريباً. اعفي على اثرها من الخدمة، ولم يعد بامكانه

القيام بأي عمل. واكتفى بمرتبه التقاعدي الذي كاد لا يفي بنفقات العائلة البسيطة. وأبت عليه كرامته ان يلجأ الى مؤسسة العاجزين عن العمل. لذلك حرمنا من اشياء كثيرة».

«هل تذكر طباع أبيك؟».

كانت جاسيكا تريد ان تجمع المعلومات عن عائلة برودي لتقارن بين الأب والأبن. خصوصاً بعد ان علمت بأن هذا الأخير عاش معاقاً وان مثل هذه الصدمة تؤثر على النفسية.

أجابها برودي وهو يستجمع ذكرياته:

«كان ابي عنيداً، عنيفاً وحاسماً، لا يتراجع ابداً عن قراره. . . لقد اقعده العجز عن العمل وتركته زوجته، وابنه كان يجلب له المتاعب».

«عفواً يا برودي، لو ظل حياً لكان فخوراً بك الآن».

رفع نظره عن المعرض ليوافقها الرأي:

«أجل. . . ولكن الأمور ما كانت سارت بهذا الشكل».

فتعجبت جاسيكا كيف انه يعبر عن افكاره بهدوء تام ولا تحزنه ذكرى والده. وبدت وكأنها تتأسف هي عنه، لأن والده مات بدون ان يعرف مقدار النجاح الذي حققه ابنه في حياته.

غادرا المعرض وخرجا الى الطريق العام. كانا يسيران في شارع كثرت فيه المطاعم حين قال لها بهدوء:

«كنت اود ان نأكل في احد هذه المطاعم لكني لم احجز مكاناً. لا بأس. سنصحح هذا الخطأ، سنحجز لتناول العشاء معاً، عندما اعود الى المدينة في المرة المقبلة».

كان يتحدث بلهجة حاذقة وكأنه اعتبرها موافقة على فكرة اللقاء به من جديد الأمر الذي اثار اعتراضها. فقالت له:

«اذا كنت متفرغة ليلة عودتك».

فردّ برودي بلهجة حميمة:
«ستكونين بالطبع جاهزة».
وتابعا سيرهما، بينما اسند برودي يده الى ظهرها ليسعفها على شق طريقها وسط الجمهور الغفير الذي تجمع في باحة المعرض، فأحدثت لمسته رجفة مثيرة في داخلها، وقال:
«هل تعلمين انه اصبح بالامكان استئجار سيارة مثل شقة صغيرة يمضي فيها العشاق ليلتهم».
«أجل. لقد رأيت صوراً عنها، انها جميلة ومفروشة على الطراز الحديث».
«عندما احجز مكاناً للعشاء، ربما سأستأجر سيارة من هذا النوع».
والقى نظرة خاطفة عليها ليرى ردة الفعل عندها، فشعرت بمزيد من الحرارة تجري في عروقها، لكنها قالت متأففة:
«لا، شكراً».
«هل فكرة الحب تزعجك، ام ان النساء لا يحق لهن طرق مثل هذه المواضيع؟».
لم يكن بودها الاجابة على أي سؤال، ووجدت نفسها تتعثر وتمنت لو تقصر الطريق امامها لتخرج من هذا المأزق. ثم تململت قائلة:
«حان وقت العودة الى المكتب».
فنظر برودي الى ساعته وهز رأسه مؤكداً:
«أجل انه الوقت. انت دائماً الموظفة المثالية، أليس كذلك؟».
«لا تنس اني اعمل لقاء اجر».
قطعا نزهتهما ليتجها نحو المكتب، فسألها برودي مستفسراً:
«هل تعملون يوم السبت؟».
«كلا، الشركة تقفل ابوابها السبت».

«كيف تقضين وقت فراغك اذن؟ تلعبين التنس والغولف؟ هل تسبحين؟».
«حسب الظروف».
«ماذا تنوين ان تفعلي هذا السبت؟».
«لم اقرر شيئاً حتى الآن».
ولاحظت انها وقعت في المأزق من جديد.
«اذاً باستطاعتنا ان نقرر شيئاً ما سوية».
«شرط ان تتخلى عن فكرة السيارة الليلية».
«الآن لا يخطر على بالي سوى نزهة في الطبيعة للتمتع بجمالات شاتانوغا. أليست رحلة بريئة بالنسبة اليك؟».
«اعتقد ذلك. . .».
مرة اخرى وجدت نفسها عاجزة عن رفض دعوته.
«حسناً سأحضر لاصطحابك يوم السبت عند الساعة العاشرة صباحاً».

٦- الفريسة والصياد

صبيحة السبت، كانت الشمس تسطع في الافق، وقد اختفت الغيوم فبدت السماء زرقاء صافية وزقزقات العصافير تملأ الارجاء بالنغم الجميل...

جلست جاسيكا على شرفة شقتها تتأمل الطبيعة الساحرة وهي ترتدي بنطلوناً بنياً وقميصاً حريرية خضراء. كان النهار جميلاً مشعاً وكأنه يدعو الناس للخروج من سجن البيت المزعج.

حين قرع جرس الباب، نظرت الى ساعة يدها فكانت تشير الى العاشرة الا دقيقة واحدة، فخفق قلبها خفقة قوية لكنها تريثت لحظة حتى تمالكت انفاسها قبل ان تجيب. فعليها ان تبدو ساكنة وهي تفتح، لكن الجرس قرع ثانية! وعبثاً حاولت السيطرة على اعصابها،

فقد ظهر الاضطراب جلياً على وجهها...

كان برودي يرتدي قميصاً ابيض، كشفت ازرارها المفتوحة سمرة جسده الجذاب. قال لها باسماً.

«صباح الخير. هذه وردة لأحلى فاتنة في عائلة ثورن. هل تتكرمين بقبولها».

ابتسمت جاسيكا، للوردة الحمراء التي في يده، وتناولتها بهدوء وقالت:

«انها جميلة جداً. شكراً».

«هل انت جاهزة؟».

«اجل لحظة واحدة لاضع الوردة في اناء».

اسرعت الى المطبخ فاخرجت اناء من الخزانة، ملأته بالماء حتى نصفه ووضعت فيه الوردة ثم وضعته في غرفة الجلوس بالقرب من الساعة المعدنية، بينما كان برودي يتأملها واقفاً عند الباب. «لو كنت اعلم انك تحبين الورود لحملت لك باقة كبيرة».

«لا بأس. هذه تكفي».

سألها وهي تقفل الباب:

«هلا تناولت طعام الفطور؟».

«شربت كوباً من الحليب».

انها تهتم عادة بوجبة الصباح لكنها هذه المرة لم تشعر بالجوع.

«انا ايضاً لم يتسن لي ان افطر. فعوض الغداء سنتناول فطوراً متأخراً».

«فكرة جيدة».

في المطعم الصغير كانت جاسيكا تلتهم الطعام بشهية وعندما افرغا صحنيهما سألها برودي:

«هل يكفيك هذا، ام تريدين شيئاً آخر؟».

فاجابت بلهجة واثقة.
«هذا اكثر من اللزوم، يلزمني بعض التمارين للهضم».
«لا عليك. سنتدبر الأمر».
اعتلت ثغره بسمة وهو يضع فنجان القهوة جانباً بعد ان ارتشف منه الجرعة الاخيرة.
«هلا نذهب؟».
وافقت بلا تردد فدفع برودي الحساب وانصرفا.
دخلا السيارة، فأدار المحرك بتأن دون ان تفارق عيناه وجه رفيقته فسألها:
«من اين تودين ان نبدأ جولتنا؟».
لم يكن هنالك اي فرق لجاسيكا فقالت:
«انت السائق، وانت تختار».
فنفذت منه نظرة تغلف رغباته الجامحة. وسألها:
«ما رأيك لو أستأجر سيارة اليوم من محطة القطار. بذلك تتأمن لك التمارين التي قلت انك بحاجة اليها».
لم يربكها اقتراحه هذه المرة، فأجابت برباطة جأش:
«لم اقصد هذا النوع من التمارين».
«ماذا عنيت اذاً؟ شيئاً مألوفاً كالمشي مثلاً!».
وراح يحدق بثنايا وجهها علّه يعثر فيه على معالم ضعف انثوي. لكنها كررت قوله بحزم:
«اجل كالمشي مثلاً».
«في مثل هذه الحالة، سنبدأ مشوارنا بتسلق الجبل».
ابطأ برودي سرعة سيارته ليستطيع التحدث اليها.
«انها طريق متعرجة سوف تستمتعين بها كثيراً».
عندما اقترب من مدخل «صخرة المدينة» ودعاها الى السير نحو

المدخل. كان البناء ضخماً وشامخاً يطل على مشاهد رائعة: صخور لا تنحني، واشجار شامخة ملاصقة للصخور وكأن لا جذور لها.
وقفت جاسيكا تتأمل بصمت هذه الصخور الجبارة.
«منذ زمن بعيد لم احضر الى هذا المكان الرائع».
نظرت الى برودي مضيفة:
«هل اتيت الى هنا من قبل؟».
«احضرني ابي الى هنا مرتين عندما كنت صغيراً. آخر مرة اتيت وحدي، فطردوني».
«لماذا؟ ماذا فعلت؟».
«لم يكن لدي المال الكافي، فتسللت بدون ان ادفع. ولسوء الحظ او لحسنه- هذا يتعلق برأيك- قبض عليّ».
شبك يده بيدها وتابعا سيرهما بمحاذاة الصخور المتناثرة. وللمرة الاولى شعرت بالارتياح وهي تستند اليها، واحست بمتعة داخلية، فغابت عن بالها المحاذير والشكوك السابقة. سار بها برودي باتجاه القمة غير آبه لخوفها من المرتفعات الشاهقة. قطعا جسراً عالياً ارتفع فوق هوة ساحقة وراحا يستكشفان المكان، ويستمتعان بجمال الطبيعة.
كان الافق نقياً لا تعلو صفوه الا غيوم خجولة توزعت هنا وهناك وانبسطت تحتها الطبيعة الغنية بالالوان. وكانت شاتاناغو تمتد عند قدم الجبل ويقربها ساحة الحرب الاهلية في شيكاموغا، حيث حقق اهل الجنوب اكبر الانتصارات. انها منطقة زاخرة بالامجاد وبالمشاهد الأخاذة. وهذه القمة تشرف على سبع ولايات من الجهة الجنوبية جورجيا وألاباما. من الشمال كارولينا الجنوبية والشمالية. فرجينيا تانيسي وكانتيكي. تسلقت جاسيكا بضع امتار ولم تنتبه انها دنت من

الشفق. وفجأة نظرت الى الاسفل فشعرت بنسمة جليدية تتسرب الى قلبها فتجمد خفقاته لبضع ثوان. لكنّ ذراعاً حنونة إحاطت بها وابعدتها عن الهوة فعاد قلبها يختلج فرحاً ورمقت برودي بلطف وهما يتراجعان الى الوراء. فقال لها:

«جميع هذه المشاهد خلابة، اليس كذلك؟».

ضحكت جاسيكا قليلاً وعلقت:

«خلابة في كل الاتجاهات ما عدا الاسفل».

واضافت محاولة ان تبرر ضعفها امام الامكنة الشاهقة:

«اي انسان يشعر بالدوار حين ينظر الى الهوة. الم يكن ذلك شعورك انت؟

وتوقف برودي، حدّق بها وقال:

«انا لا يقتلني الاّ الشعر العسلي والعَينان الخضروان».

انتاب جاسيكا شرود وارسلت تنهيدة من الاعماق وهي تقول:

«هل هذا صحيح؟».

ايقظ موقفها العاطفي حواس برودي فتسمرت عيناه على رفيقته، وكأنه يريد ان يحتلها، وقال:

«قرأت في مكان ما ان الرجل لا يحق له ان يعانق امرأة قبل اللقاء الثالث. انها المرة الثالثة التي نلتقي خلالها يا حلوة العينين الخضراوين. ولكن لا ادري متى يحق لي أن اطالب بحقي؟».

ثم ضمها الى صدره الدافيء. فلم تبدي اي اعتراض، بل تجاوبت مع الدفق العاطفي الذي انساب بصورة عفوية. وبدون تصنع وجدت نفسها تبادله شعوره. فقد هدأت ثورتها وذاب العنفوان كما تذوب الثلوج عن القمم، حين سمعته يتمتم.

«كم انتظرت هذه اللحظة؟».

واحست بشعور غريب وارادت ان تجيبه بقولها:

«ليتك لم تنتظر»...

مشت باضطراب وكأنها تخاف ان تزحل الارض من تحت قدميها وحين شعر برودي بخوفها قال لها:

«لا تنظري الى الاسفل، تمسكي بي جيداً، ومن دون اعتراض احاطت يداها بخصره فلف عنقها بذراعه بحنان ظاهر فشعرت بانه يحميها، وانها قدْ تهوي حتى اسفل الجبل ان تخلت عنه. وما ان زال خطر الانزلاق حتى اوقفها برودي قليلاً وراحت انامله تداعب شعرها المبعثر. ثم اكملا دورتهما نحو شلالات روبي وساحة الحرب في شيكاموغا.

بعد الظهر، توقفا لشراء الساندويش. وتساءلت جاسيكا كيف تتطور علاقتها ببرودي بهذه السرعة. لم يعد بالامكان وضع حد لهذه العاطفة، فقد دخل الرجل حياتها وسكنها وشعرت انها غير نادمة في كل حال.

عند المساء توقفت سيارة برودي امام شقة جاسيكا فجلس الاثنان يدردشان قليلا. قال برودي:

«لم اتناول القهوة في المطعم، لو حصلت الآن على فنجان لوجدت لذة خارقة في تناوله»..

«اذا كنت ترغب في شرب القهوة، فتفضل سوف اصنعها لك بنفسي».

حين دخلا الشقة دعته للجلوس قائلة:

«استرح ريثما احضر القهوة».

ودخلت الى المطبخ. وبينما هي تخرج الفناجين التفتت الى الوراء فوجدت برودي واقفاً الى جانبها وهو يهمس في اذنها.

«كيف لي ان استريح وحيداً في الغرفة؟».

فضحكت وردت:

«انا ايضاً شعرت بالشعور نفسه».

«انه لأمر مزعج بالنسبة الي ان اتململ على كرسي الانتظار».

جلس برودي قرب الخزانة وراح يحدق بجاسيكا وهي تحضر القهوة. وبينما هي تدنو لتعبد البن والسكر، فاجأها قائلا:

«لا داعي للقهوة».

ونظرت جاسيكا اليه مستغربة:

«لكنك انت طلبت القهوة!».

«لا تتظاهري بالغباء. نحن الاثنين نعلم انها حجة، حجة لكي تستطيعي دعوتي، وحجة لاستطيع قبول الدعوة».

«في كل حال القهوة جاهزة الآن».

اطفأت النار وجاءت بالفناجين.

«صبي لي فنجاناً سأشربه».

وما ان وضعت الفنجان من يدها على الطاولة حتى اجتذبها نحوه قائلا:

«من اجل هذا نحن هنا، لا من اجل القهوة».

حاولت ان تصده بيدها، لكن الحب كان اقوى فألقت رأسها على صدره وشعرت انها فقدت السيطرة واصبحت بلا ارادة.

في تلك اللحظة هجمت مئات الافكار الى رأسها لكن بعد فوات الاوان. فتساءلت كيف يعقل ان تستسلم كلياً لرجل لا تعرف حقيقة نواياه. انه يحاول اغراءها بلمساته الناعمة فاذا استسلمت له الآن سوف تقع في شراكه الى الأبد. تشنجت عضلات جسدها ثم انتفضت وأفلتت من قبضته.

لم يحاول الامساك بها. بل ساد صمت تام وشعرت جاسيكا بالحاجة الى قطعه، واتجهت نحو البراد وهي تقول:

«اشتريت بعض الحلوى. هل تريد قطعة مع القهوة؟».

حاولت ان تفتح البراد فشدها برودي الى الوراء قائلاً بصوت حاسم:

«لا اريد اي حلوى».

وحاول استعادة النشوة التي قطعتها جاسيكا عليه. هذه المرة كان اوفر حظاً فاستطاع ان يحرك عاطفة المرأة الواقفة امامه وهو يدغدغ عنقها بحنان لم تعرفه من قبل ثم اجلسها على ركبتيه وهي ترتعش كالورقة المزيلة.

«لا تضطربي».

كان صوته ينذر بالخطر اكثر من يديه العابثتين حين قال:

«لا تخافي لن اكمل لعبة الحب معك حتى النهاية. فالأمر يتطلب المزيد من الوقت».

«اعلم انك لن تفعل».

شعرت بضعفها وبعدم قدرتها على الصمود امام التجربة لكن اصيبت بشيء من التعجب حين قال لها:

«ليس عندي الوقت الكافي وعليّ الانصراف».

ثم ضمها بحنو للحظة، تركها بعدها مضيفاً:

«لنشرب القهوة اني مستعجل».

وساءها تصرفه هذا، وهالها ان يدّعي العجلة فجأة، فقالت له غاضبة:

«هل انت متأكد من ان لديك الوقت الكافي لتشرب القهوة؟».

فأجابها بمنتهى البرودة:

«لو لم يكن لدي الوقت الكافي لرحلت».

«لم يكن بودّي تأخيرك عن موعدك».

امسك برودي بيدها. انتزع منها الفنجان، ووضعه قرب فنجانه وقبل ان تتمكن من معرفة ما يريد، عانقها ثم قال:

«لقد فات الاوان تأخرت عن موعدي. طائرتي تنتظرني في المطار».

«الى اين انت ذاهب؟».

«الى ناشفيل. عليّ ان اكون هناك عند السابعة والنصف. كان يفترض ان اصل ظهر اليوم لكني اجلت الموعد لاقضي نهاري الى جانبك».

ولم تعرف بأي لسان تجيب.

«لم اكن أعلم ذلك».

«تفهمين الآن كم كنت متمسكاً بلقائك».

لم تكن متأكدة من صدق نواياه. فلا شيء يوحي بذلك في نظراته الثابتة. في كل حال ستنتظر، فهذا النوع من الرجال لا تكتشف هويته بسرعة. سألته:

«متى ستعود؟».

«الاسبوع المقبل. لا ادري في اي يوم بالضبط. سأتصل بك».

«لكن رقمي غير مدرج في دليل الهاتف».

«لقد حصلت على رقمك».

«كيف؟».

«نقلته في المرة الماضية عن الهاتف في غرفة الجلوس».

كانت تريد ان تغضب من تجاوزاته، لكن جاذبيته اخرستها كلياً.

ترى هل اضحت اشبه بفريسة سقطت في شباك الصياد ولم تعد قادرة على الفرار؟

«لقد اصبحت القهوة باردة. عليّ ان اشربها وانصرف».

احست ان القهوة ازدادت حرارة وهي تلامس شفتيها الملتهبتين. وضعت الفنجان جانباً ورافقت برودي حتى البهو الخارجي، فأكد لها قبل ان يختفي في الظلام:

«سأتصل بك فور عودتي».

٧- زراعة الفرح

مساء السبت، جلست جاسيكا على الأريكة وراحت تفكر ببرودي. كانت تتساءل هل هي مجرد علاقة عابرة بينهما وان تلك المواقف العاطفية قد تمر في حياة كل فتاة؟ ولكن مغامرتها ليست كسائر العلاقات. فقلبها يخفق لأسمه بصورة مختلفة! اقفلت الكتاب الذي في يدها فهي لم تقرأ كلمة واحدة خلال ساعة وشعرت بالملل داخل جدران شقتها. وحين استبدّ بها الضجر خطرت لها فكرة الاتصال بابنة خالها باربارا دان علّها تتفق معها على مشروع ما، او ربما تذهبان الى السينما.

قامت لتتصل بها، لكن ما ان وصلت الى غرفة الجلوس حتى رنّ الهاتف. تساءلت من تراه يكون؟ هل تراها باربارا تتصل؟ رفعت

السماعة. فاجأها صوت موظفة الهاتف يقول:
«انه اتصال من الخارج للآنسة جاسيكا ثورن».
«من يريدها؟ هي تتكلم».
فوجئت جاسيكا للوهلة الأولى فأهلها لم يعتادوا ان يطلبوها بهذه الطريقة من شخص الى شخص، وقالت في نفسها: لعله هو. بعد لحظات سمعت صوتاً حنوناً يقول لها:
«آلو. حلوة العيون الخضرا!».
انه صوت برودي. قفز قلبها من مكانه، وردّت:
«اعتقدت انك ستتصل في الاسبوع المقبل».
«قلت اننا سوف نلتقي في الاسبوع المقبل. ولم أقل أني لن اتصل بك قبل هذا الموعد. في كل حال هل في الأمر اي احراج؟ هل اتصلت في وقت غير مناسب؟ هل احد المعجبين بضيافتك؟».
«لا إني وحيدة».
وجاء جوابها واجماً وكأنها تبغي الدفاع عن نفسها.
«وحيدة مساء السبت؟ معقول؟».
«لا يهم. غداً عليّ ان استيقظ باكراً».
«عفواً. نسيت انك موظفة نشيطة. لهذا السبب تقضين سهرتك وحيدة. اليس كذلك؟».
«هل تتصل لتسخر مني؟».
«المسألة ابسط من ذلك. اريد سماع صوتك».
تساءلت هل هو جاد فيما يقول؟ وتنهدت متمنية ان يكون صادقاً.
وحين سمع تنهدها سألها مستفسراً:
«جاسيكا ما الأمر؟».
«لا شيء».
فجأة سمعت ضجة. توقف برودي عن الكلام لبرهة ثم تابع:

«هناك شخص في الباب وعليّ ان اودعك».
«حسناً يا برودي الى اللقاء».
«سأتصل بك».
وادركت جاسيكا انزعاجه بسبب قطع المخابرة، فاعادت السماعة الى مكانها بهدوء.
ليتها فهمت ما يريد! ليتها تعرف ان كان جديراً بالثقة!
مضى الاثنين، الثلاثاء والأربعاء وجاسيكا تنتظر المخابرة التي وعدها بها برودي. كانت تتساءل هل تراه عدل عن الاتصال بها لسبب ما؟ ربما أخطأت في فهم الموعد.
كانت في المكتب حين جاءتها المخابرة المنتظرة.
«السيد هايس على الخط».
«ألو جاسيكا. اني ما بين اجتماعين. لديّ فقط دقيقتين من الوقت. سنتناول العشاء معاً هذه الليلة».
وساءها ككل مرة ان لا يستشيرها قبل ان يقرر.
«سأمر عليك عند السابعة والنصف».
«تمر عليّ انا؟».
«عفواً حلوة العينين الخضراوين. عليّ ان اسرع سأراك الليلة».
وانتهت المخابرة وابعدت جاسيكا السماعة عن اذنها وبدا عليها الغضب لان برودي لم يكترث لموافقتها.
دخل عليها خالها رالف دان قائلا:
«هل برودي هايس على الخط؟ قولي له اود التحدث اليه لبضع دقائق».
«للأسف انتهت المخابرة».
بدا عليه التعجب.
«ابهذه السرعة؟ لماذا اتصل؟».

«ليقول لي انه سوف يتناول معي العشاء هذه الليلة».

وتنهدت مبدية تذمرها.

حدق خالها بعينيها وفهم بسرعة سبب غضبها، فهي تشبه امها الى حد بعيد وهو خبير بطباعها. فحاول ان يلطف خاطرها بقوله:

«قد يكون نسي. الم يكن صوته لطيفاً؟».

«اني متأكدة من ان برودي يتفرد في قراراته. انه رجل مغرور لا يكترث لرأي الآخرين».

«ربما تظلمينه، يا جاسيكا في كل حال انه يريد الاجتماع بك لا بغيرك».

«وهل عليّ ان اوافق بصورة عمياء؟».

وخفت حدّة غضبها فهي تعرف انه يهتم لها، ولكن على الاقل ليسألها على سبيل المجاملة. حين ادرك خالها سبب غضبها راح يسدي اليها النصائح فقال:

«عليك ان تفهمي ان رجلا ناجحاً كهابس، يسافر في كل الاتجاهات، ليس لديه الوقت للمحافظة على اللياقات».

وتذكرت جاسيكا المخابرة المقطوعة فوافقت خالها على رأيه:

«قد تكون على حق».

«بلغيه عندما تلتقينه هذه الليلة اني ارغب في التحدث اليه بصدد مشروعين تقدم بهما جانسون. اظن انه من الأفضل ان يطلع عليهما قبل ان اباشر بالتنفيذ».

«سأبلغه ذلك».

عند السابعة والربع كانت تستعد لاستقباله بعد ان قررت الا تظهر له استياءها من طريقة دعوته. لكن من دون ان ترتمي بين ذراعيه ايضاً!

حين قرع الباب مشت ببطء لتفتح.

«انك مبكر لقد قلت السابعة والنصف. الآن انها السابعة والربع».

كان بريق عينيه يدعوها للعناق لكنها تراجعت رافضة الدعوة المثيرة في نظراته.

أجابها بعنف:

«هل هي جريمة اذا وصلت مبكراً؟».

وردّت متعمّدة الكذب:

«لست جاهزة بعد».

فقد كانت مستعدة منذ عشرين دقيقة واكثر.

وامام موقفها المتصلب هذا اراد ترطيب الاجواء، فرمقها بنظرة حب، وهمس:

«انك فتاة رائعة».

فهمت نغمة اطرائه فانسابت الرقة لا شعورياً من صوتها وقالت:

«بقي عليّ ان اضع الحمرة».

امسك بيدها واجتذبها نحوه. عبثاً حاولت الافلات، فقد خانتها ارادتها مرة اخرى.

ضمها الى صدره قائلا:

«هذا افضل من الحمرة».

ملاحظته هذه عادت بها الى الواقع. فافلتت من يديه وساورتها رغبة غريبة في اثارة غضبه.

«ماذا كنت تفعل لو قلت لك ان لديّ مشاريع اخرى هذه الليلة؟».

«هل عندك مشاريع خاصة؟».

«الآن تسأل اذا كان لديّ مشاريع؟».

«لو كان عندك ارتباطات أخرى، كنت اعلمتني بالأمر على

الهاتف».

«لم تفسح لي المجال».

«كم يبقى من الوقت قبل ان يحضر صديقك؟».

فهمت قصده وادركت انه يحاول ازعاجها بادعائه انها سوف تخرج مع رجل آخر.

«ليس عندي اي مشروع كهذا، ولكن يفترض بك ان تنتظر موافقتي قبل اتخاذ القرارات. فأنا لست رهن اشارتك».

«انا لا افرض عليك الموافقة يا حلوة، واذا لم استشرك فأنا لم اقصد ايذاءك».

كان يسعى الى تلطيف خاطرها وأنهاء المشاجرة بينهما. وامام كلماته اللطيفة، ادركت انه من الصعب الاستمرار في الغضب فأجابت بهدوء.

«اتمنى... ان يكون الأمر كذلك».

مدّ برودي يده الى جيبه واخرج علبة صغيرة قدمها لها وقال:

«اشتريت لك هذا».

تناولت العلبة بتردد وحياء وفتحتها فأبصرت سلسالاً ذهبياً علقت فيه قطعة من الماس... واظهرت اعجابها على سبيل المجاملة:

«انها رائعة».

ثم اعادتها الى العلبة، احكمت رباطها وارجعتها اليه قائلة:

«آسفة لا استطيع قبولها».

ولاحت في عينيه ومضة غضب ثم همس:

«اشتريتها لك».

«ولكنها باهظة الثمن».

«انت معتادة على الاشياء الثمينة، هل كان عليّ ان اهديك شيئاً رديئاً فأجرح كبرياءك؟».

«لو فعلت، لوفّرت عليّ الشعور بأنك تحاول شرائي».

ولاح بريق الغيظ في عينيه:

«شراؤك! انا لا احاول ان اشتري احداً».

«هل دأبت ان تشتري الماس لكل فتاة تخرج معها؟».

«أرجوك كفي عن الاهانات! انا اشتري الهدايا فقط لمن لهم عندي منزلة خاصة. والسبب بسيط: احب ان ازرع الفرح في قلبك، هذا كل ما ابتغيه».

فتساءلت ان كانت قد ظلمته في اتهامها؟ قد يكون لا يريد ان يؤثر على عاطفتها بالهدايا، وأضافت:

«لا شيء يدعوك لشراء مثل هذه الهدايا الثمينة».

«صدقيني الثمن ليس باهظاً بالنسبة لي... عندما كنت في الخامسة عشرة لم يكن بمقدوري انفاق خمس دولارات على فتاة. اما اليوم فلا يقلقني الثمن».

ثم نظر اليها بحنان طفل مجروح وأضاف.

«أريدك ان تقبلي هذا السلسال يا جاسيكا».

ترددت قليلاً. بينما برودي يتابع:

«ما نفع المال حين لا نستطيع انفاقه على من نحب».

وبدت حجته مقنعة فمدت يدها وتناولت الهدية. وهمست:

«لطف منك ان تفكر بي يا برودي».

راحت يداه تداعبان بسلاسة شعرها الذهبي بينما ساعده تلفّ عنقها بحنان وسألها:

«هل تريدين ان تلبسي السلسال هذه الليلة؟».

ادركت توقه ورغبته في الباسها الهدية بيده، فوافقت على اقتراحه. اخذ العلبة من يدها ووضع السلسال بتأن حول عنقها، فوقفت تتأمل نفسها بالمرآة باعجاب ظاهر وتقول:

«انه رائع».

ولفت انتباهه شعرها المبعثر فقال لها:

«اذهبي واعتني بهندامك، لا اريد ان يدرك الآخرون سبب تأخرنا».

«الآخرون؟».

«خبر سيء. لن نتناول العشاء منفردين. نحن مدعوان الى بيت جانسون».

«قلت الآخرون. هل هذا يعني ان هناك مدعوين كثراً».

واشعل سيكارته موضحاً:

«اظن هناك عشرة اشخاص، جانسون وكيلي ومحاسبي وابن جانسون. قد تكون السهرة مملّة. ولكن جانسون الحّ علي، لكي اتعرّف الى افراد عائلته. هناك بعض المواضيع الخاصة بالشركة يجب البت بها. هكذا اجمع بين واجب اجتماعي وجلسة تصريف اعمال».

«انك تلبي ثلاث واجبات، هل نسيتني؟».

كانت تشعر بالخيبة. ورغم ذلك ابتسمت فهي لا تعرف روتين السهرات الاجتماعية، خصوصاً تلك التي تتخللها احاديث المال والأعمال. حين لاحظ برودي استياءها حاول الاعتذار بقوله:

«كان لا بدّ من الاجتماع بهم، وكان لا بد ان التقيك في الوقت نفسه».

وامام صوته الحنون، شعرت بشيء من التعزية لأن برودي يفكر بها مهما تعقدت مهامه.

«سأكون جاهزة خلال دقائق».

اعادت تسريح شعرها ثم وضعت وشاحاً حريرياً على كتفها وغادرا المنزل وهو يشبكها بذراعيه.

في الطريق الى بيت جانسون، تذكرت الرسالة الشفوية التي كلفها خالها بنقلها الى برودي لكنها استغربت لامبالاته حيال هذا الموضوع.

استقبلها آل جانسون عند الباب الرئيسي مشيرين الى انهما آخر القادمين. دخلا وقدم برودي صديقته الى المدعوين ثم راح يعرفها بهم.

درو ميتشل، رجل ممشوق القامة، حسن المظهر. انه مستشار برودي الخاص وزوجته ماريان.

كليف هاردلي مستشار برودي الحالي. رجل اصلع يضع نظارات سوداء، وتبدو ملامح الجدية على وجهه. وكيل جانسون، رجل من اشراف الجنوب يدعى لي كانترال وزوجته راشال. كانت جاسيكا تعرفها من قبل.

أخيراً ابن جانسون كال وزوجته سو وزوجة جانسون اميلي.

انتهى التعارف فقال كال لضيوفه:

«حان وقت الطعام».

فتوزعوا حول المائدة، الرجال الى جهة والسيدات الى جهة ثانية. واقتربت اميلي من جاسيكا وسألتها:

«كيف حال اهلك؟ لقد افتقدناهم بعد سفرهم الى فلوريدا. ان غيابهم خسارة».

واجابت جاسيكا بلطف:

«لقد ارادوا السكن بالقرب من احفادهم».

واشتركت سو قائلة:

«المناخ عندهم رائع. انا وكال نقضي عادة شهراً او شهرين من الشتاء هناك. لكني لم اتمكن من اقناعه بمغادرة هضاب تينيسي.

وبدأت الدردشة الحميمة بين السيدات... وما هي الا برهة

حتى قدمت الاطعمة المتنوعة. ونظرت جاسيكا الى برودي فوجدته يصغي الى حديث وكيله باهتمام. وتوجهت راشال كانترال اليها بالحديث:

«كيف حال جوردانا. هل ما زالت مع توم في ذروة الحب؟ ألم ينته بعد شهر العسل؟».

«جوردانا وتوم زوجان سعيدان».

بعد العشاء انقسم المدعوون الى قسمين، الرجال لدراسة الاعمال، والنسوة في الجهة المقابلة.

جلست جاسيكا على الأريكة ترتشف قهوتها تارة وطوراً تنظر الى برودي الذي بدا منزعجاً وسمعت صوتاً يسألها:

«هل تعرفين برودي منذ زمن بعيد؟».

كانت السيدة ماريان التي عرفت بحشريتها، فردت جاسيكا:

«لا ليس من زمن بعيد؟».

وجاء دورها للاستفسار فسألت محدثتها:

«هل انت من هذه المنطقة؟».

«لا نحن نسكن في ريشموند، منذ بدأ زوجي درو يعمل مع برودي».

«منذ متى يعمل زوجك مع برودي؟».

«انها سنته السادسة. لا اعلم عدد المطارات التي هبطنا فيها ولا عدد الفنادق التي دخلناها».

«الا يزعجك هذا النمط من العيش؟».

«درو يحب العمل مع برودي لانه شغوف بالمغامرة. خلال الاشهر الثلاثة الاولى، كنت اشاهد درو مرة واحدة كل ثمان واربعين ساعة. كانت فاتورة التلفون تفوق طاقتنا. ولم يبق امامي سوى خيارين. اما ان اعيش حياة الأرملة واما ان احزم حقائبي وأرحل

معه».

اقتربت سو جانسون فودعتها:

«نعتذر، فعلينا ان نعود».

«هل انت ذاهبة؟».

«وعدنا المربية بأننا سوف نرجع قبل الحادية عشرة».

اتجهت نحو زوجها، واتفقا على الانصراف فاحدث خروجه شيئاً من البلبلة، كان عنصراً فعالاً في المناقشة.

٨ - هل انت متزوج؟

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة حين سكتت جميع السيدات بعد ان فرغت جعباتهن من الكلام، بينما بقي الرجال مسترسلين في مناقشتهم. فشعرت جاسيكا بانهم نسوا وجودهن في الغرفة.

لحظات ثم بدأت ماريان تتثاءب وتنظر الى جاسيكا وراشال وربة المنزل ثم قالت:

«سيستمر هذا الاجتماع حتى ساعات الصباح الأولى. اني اعرف عادتهم».

واتجهت نحو زوجها فهمست في اذنه بضع كلمات. وابتسم درو معتذراً، ثم عاد ليشترك في النقاش. لا شك انه قرار هام، لن

يتوصلوا اليه بسهولة.

انفصل برودي عن البقية واتجه نحو جاسيكا، امسك بيدها ومشى بها الى جهة منفردة. وبالرغم من انه اراد التحدث اليها، ظهر ان موضوع الخلوة ما زال يشغل تفكيره. وقال لها:

«ان درو يتصل بأحد مكاتب سيارات الاجرة، لتحضر سيارة وتنقل ماريان الى الفندق. افهم انك سئمة وستنهضين باكراً في الغد. ثم لست ادري الى متى سيستمر الاجتماع. لذا طلبت الى درو ان يفهم السائق كي يوصلك الى شقتك بعد ان تنزل ماريان في الفندق».

حاولت جاسيكا الا تظهر استياءها، وهي تحس نفسها عبئاً عليه خلال هذه الجلسة الطويلة، لكن صوتها الواجم لفت انتباهه فقال معتذراً:

«لم اكن اعلم ان الأمر سيطول الى هذا الحد عندما دعوتك لمرافقتي».

«لا عليك. اعلم ان الاجتماع هام وضروري».

التفت الى الوراء فتبين انهما ما زالا على مرأى من الجميع. فوضع يده على كتفيها وسار بها نحو المدخل ثم ضمها الى صدره قائلاً:

«امنيتي الوحيدة هي البقاء الى جانبك».

وشرح لها الاسباب بصوته الهامس:

«لو ان المشاكل تعنيني لتركتها بدون تردد. انها مشاكلهم وهي لا تنتهي».

وناداه درو من غرفة الجلوس.

«برودي اين أنت؟».

وحين سمع صوته تراجع قليلاً لينفض عنه غبار العواطف ويستعيد رصانة رجل الأعمال. ثم نظر الى جاسيكا ليرى اذا

استطاعت مثله التحكم بمشاعرها. ثم اجاب:

«انا هنا يا درو».

ودخل عليهما درو ولم يكن يعلم ان برودي يختلي بصديقته هناك.

«سوف يحضر التاكسي الى هنا خلال دقائق».

«شكراً يا درو».

ونظر الى جاسيكا سائلاً:

«هل تزعجك طريقة العودة؟».

«بالطبع لا».

ثم توجهت لتودع الحاضرين. والتحق برودي بالمجتمعين بعد ان بادلها نظرات وداع رومنطيقية.

دخلت السيارة وسط الظلام الدامس. وما ان اقلع السائق حتى بادرتها ماريان قائلة:

«ستعتادين على هذا النمط من الاجتماعات، اذا استمريت برفقة برودي».

وحين لم تعلق جاسيكا على الملاحظة، تابعت ماريان:

«مشاريع برودي مهيأة للتغيير كالاسعار بدون سابق انذار، ودرو يسير في الطريق نفسه:

«الا يزعجك هذا الأمر؟».

«بعض الرجال يعلموننا كيف نقبل نمط حياتهم فلا نحاول تبديله».

واعتبرت جاسيكا هذا الرأي بمثابة انذار، فاجابتها مقتنعة:

«انك على حق».

وحين بدا الوجوم جلياً على وجهها، ارادت ماريان ان تشعرها بشيء من المودة، فحاولت ممازحتها:

«ان برودي رجل مميز. صدقيني لو التقيته قبل درو لوقعت حتماً في

غرامه».

ضحكت جاسيكا وسألتها باهتمام:

«هل التقيت بصديقات برودي؟».

اثار السؤال ماريان فاجابت بهدوء:

«لقد رأيته مع نساء اخريات لكنه لم يعتد ان يصطحبهن الى سهرات اجتماعية».

ثم تلعثمت قليلاً وأكملت:

«ربما كان علي ان اقول، لا لم أره من قبل مع صديقاته وانك انت الأولى. فبرودي لا يريد ان تشاع اسراره».

شعرت جاسيكا بشيء من الارتياح حين علمت ان مجموعة من النساء دخلن حياة برودي، ولكنها تختلف عنهن في نظره، وانها الأولى التي يجاهر بمصادقتها امام معارفه.

حين دخلت السيارة باحة الفندق، ترجلت ماريان والقت تحية الوداع، واكمل السائق طريقه نحو شقة جاسيكا.

في صباح اليوم التالي، كانت باقة من الورد الأحمر تنتظر جاسيكا في المكتب، وقد كتب على بطاقة الاهداء عبارة بسيطة، «اعتذر - ب». طيلة ذاك النهار، انتظرت في المكتب وفي البيت ان يتصل بها، لكن هاتفها لم يرن مرة واحدة...

نهار السبت، اتصلت بها موظفة البريد لتقرأ لها برقية مستعجلة موقعة من برودي:

«اضطررت للسفر الى خارج المدينة، سأعود الاسبوع المقبل».

تلك البرقية المستعجلة، جعلتها تفهم اكثر لماذا قررت ماريان مرافقة درو في اسفاره المتلاحقة. اما هي، فلا يحق لها ان تحذو حذوها، لأن علاقتها ببرودي لا تزال غامضة.

مساء الاربعاء، كانت تبلغ عتبة بابها حين سمعت رنين الهاتف

المتواصل، فهرعت الى السماعة مضطربة.

«آلو.. لم اجدك في المكتب، قالت السكرتيرة انك تركت منذ دقائق؟

امتلكتها نشوة لا توصف وهي تسمع صوته.

«لا بأس. ها انا اصل البيت».

«بعد هذه الغيبة، ارتأيت ان اتصل اولاً، لاسألك ان كنت حرة هذه الليلة».

كان برودي يتكلم بسخرية واضحة. اجابته بجرأة:

«اجل اني حرة».

«اذن سأحضر».

«متى؟».

وقبل ان تطرح سؤالها، اختفى صوته وانتهت المكالمة. ارجعت السماعة الى مكانها وراحت ترتب بيتها. جمعت المجلات المبعثرة، رتبت الوسائد، افرغت المنافض. ثم دخلت الى الحمام، لتستحم. خرجت بقميص نوم يابني مطرز وجلست امام المرآة تصفف شعرها. تناولت اصبع الحمرة لتلون شفتيها حين قرع جرس الباب. غير معقول ان يكون برودي، فهي لم تلبس ثيابها بعد. فشدت زنار قميص النوم ليلاصق جسدها، احكمت رباطه واسرعت لتفتح الباب.

«كنت اريد ان اصل باكراً، لكني توقفت لشراء طعام العشاء».

واشار برودي الى كيس في يده. كانت عيناه الزرقاوان تتأملانها من اعلى الرأس حتى اخمص القدمين وتتوقفان عن ركبتيها العاريتين اللتين لم يسترهما القميص المشدود الى خصرها.

«لم اتوقع وصولك بهذه السرعة».

وابتعدت خطوتين لتتابع:

«عفواً يلزمني بضع دقائق لارتدي ملابسي».

«لا لزوم للازعاج».

قطع عليها طريقها، فحاولت ان تبعده نحو غرفتها لكنه لم يتردد في ضمها الى صدره وراح يداعب جسدها الطري بغية اثارة حواسها وجعلها تشاركه نشوة الحب. لكن جاسيكا دخلت الى غرفتها، وارتدت ملابسها بسرعة، ثم انتقل الاثنان الى المطبخ، وبدأ برودي الحديث.

«اعتقدت انه من الافضل ان نتناول عشاءنا هنا الليلة. انها الوسيلة الوحيدة كي لا يعكر صفونا احد... ربما اعتقد درو اني هنا، لكن اسمك غير مدرج في دليل الهاتف فلن يتمكن من الاتصال».

وتوالت التساؤلات في رأس جاسيكا وهي تخرج الصحون وترتب الطاولة. ان برودي لن يقف عند حد في مغامراته معها. فهو خبير بنفسية المرأة ولا يقدم على اي موقف عاطفي لا يتأكد من نجاحه مسبقاً.

بينما كانت تنظم الطاولة، اصر برودي على تجهيز الطعام بنفسه. وراح يحضر قطع اللحمة الشهية الممزوجة بالتوابل. فلاحظت جاسيكا انه طباخ ماهر. لقد خبر الحياة من كافة جوانبها بما فيها الاعمال المنزلية.

لم يكن الطعام وحده شهياً. فقد كان الحديث عذباً ايضاً. تحدثا عن كل شيء، تقريباً. تناقشا في السياسة وتوافقا الرأي في الموسيقى والادب. وتناولا موضوع المال والاعمال، واهمية الرجلين اللذين يعملان الى جانبه واللذين التقتهما جاسيكا في سهرة الاسبوع الماضي. قال لها:

«درو هو فعلياً ساعدي الأيمن. انه رجل حاذق. لولاه لما ازدهرت

تجارتي بهذا الشكل».
ولفت انتباهه ضوء الشمعتين الشاحب وقد وضعتا في الشمعدانين اللذين اهداهما الى جاسيكا. لقد تعمدت ان تستخدمها للمرة الاولى بحضوره، فأكدت له:
«ان درو يخصك باحترامه واعجابه، هو ايضاً».
«كيف كوّنت هذا الرأي؟».
«اخبرتني ماريان انه يحب عمله. وهذا يعني انه يرتاح لوجودك وللتعاون معك. واكبر دليل انه لا يخل بمواعيده ولا يتذمر من جلسات العمل الطويلة».
كانا يرتشفان القهوة وهما يتبادلان الاحاديث بحميمية ظاهرة وحين لاحظت ان فنجانه قد فرغ سألته:
«هل تريد المزيد من القهوة؟».
«فنجان آخر، اذا شئت».
وسألته بفضول وقد شعرت ان الظرف مؤات للدخول في حياته الخاصة:
«لماذا لم تتزوج يا برودي؟».
«من قال لك لم اتزوج؟».
يا الهي! حتى هذه اللحظة لم يتبادر الى ذهنها ان كان متزوجاً ام لا؟ ولكن ماريان قالت انها رأته مع بعض النساء، واردفت انه يريد الاحتفاظ بحياته الخاصة لنفسه.
وفي ذروة اضطرابها، صدمت يدها فنجان القهوة فوقع وتحطم على الأرض. فهرع برودي يلملم قطع الزجاج المتناثر. ووقف ليرمي بها في سلة المهملات.
لكن جاسيكا لم تبرح مكانها وسألته بصوتها المتقطع:
«هل انت؟».

«هل انا ماذا؟».
وتظاهر انه يجهل ما تسأل عنه.
«هل انت متزوج؟».
بدا ساخراً من ارتباكها واصفرار وجهها:
«كان يجدر بك ان لا تقعي في الفخ. أوليس كذلك؟».
«أجبني يا برودي وكف عن المزاح».
«لست متزوجاً. هل هذا يعيد الطمأنينة اليك؟».
حاولت ان تحبس انفاسها المتقطعة وهي تحدق به.
«هل تقول الحقيقة؟».
«ألا تصدقينني؟».
«لم اعد اعرف ما الذي يجب ان اصدقه».
وابتعدت مغتاظة خائفة مرتابة. فدنا برودي منها بصمت. وقف وراءها ووضع يده على كتفها بحنو.
«الا تصدقينني؟».
انتفضت وابتعدت عنه، لكنها وقعت بين ذراعيه مرة ثانية فضمها بسلاسة قائلاً:
«هل تشكين بحبي لك؟».
ومالت عنه علّها تستطيع الافلات، لكنه لم يتركها تفعل... وطمأنها قائلاً:
«اردت المزاح فقط!».
كانت حرارة ساعديه تلفح جسدها وعطره الفواح ينعش صدرها ويخدّر حواسها.
خفقات قلبها تهمس بالسعادة والحب. وحين شعر برودي بالنشوة التي تولدها لمساته فيها، بادرها قائلاً:
«صدقيني ان رجلاً متزوجاً، لا يستطيع ان يثير فيك مثل هذه

الاحاسيس».

وتوقف قليلاً، ثم تابع:

«اذا اعتبروا العناق خطيئة، يا حلوة العينين الخضراوين، فتباً لهم».

لكن الشكوك ظلت تخامرها، فكررت السؤال:

«قل لي، هل انت متزوج ام لا؟».

وظهر بريق الغضب في وجهه:

«سبق أن اجبت على سؤالك. ما الفائدة ان كررت الجواب وانت لا تصدقيني. كيف يمكن ان ابرهن لك اني اعزب. هل اعلق ورقة على ظهري اكتب عليها: «انا لست متزوجاً». هل تفعلين ذلك انت؟».

«طبعاً لا!».

«ثم لماذا اصدق انك لست متزوجة. من يدري؟ ربما يختبىء زوج حسود، ينتظر ليفاجئنا على فراش الحب».

ونظرت اليه بغضب:

«لا اظن الموضوع هزلاً».

«ولا انا. افضل ان اموت على ان اقع بين يدي زوجك».

وصرخت به:

«كفى. انت تعرف انه ليس عندي زوج».

«ماذا بالنسبة لي. انظري اليّ جيداً. هل ترين شيئاً ينبئك ان لي زوجة مختبئة في مكان ما؟».

اطرقت رأسها وبدت عاجزة عن مواجهته. فتقدم منها وسألها:

«هل تقبلين ان نتناول العشاء معاً مساء السبت؟».

فاجابت بجفاء:

«اقبل».

«ولكن اقبلي بسرور يا حلوة العينين الخضراوين».

ثم استدرك وهو يضمها مودعاً:

«عليّ ان انصرف الآن يا جاسيكا».

«الآن؟».

بدت وكأنها لا تصدق انه ينوي الذهاب فوراً.

«اجل الآن. طائرتي تنتظرني».

واجابته متأففة:

«هل انت مسافر من جديد؟».

«لقد هبطت هنا من اجلك لاقضي معك هذه الليلة. لا استطيع ابتعاد عنك طويلاً».

«اني سعيدة لانك توقفت هنا».

وافلت يديه عنها قائلاً:

«اذا غادرت الآن، يمكنني ان استحم قبل موعد اقلاع الطائرة، لا اذا وافقت على ان استحم هنا».

وارتبكت جاسيكا من جراء هذا الاقتراح الجريء. واذ لاحظ ترددها في الجواب اكد لها:

«ذات يوم، لن تفكري قبل اعطاء الجواب».

وانصرف قائلا:

«الى اللقاء. السبت الثامنة مساء».

«حسناً».

٩ - سكرة الحب

انتظرت يوم اللقاء بفارغ الصبر. كان الوقت يمر بطيئاً طيلة الاسبوع، واستولت عليها الهواجس التشاؤمية بدون ان تعرف السبب. هل ستطرأ على برودي اعمال جديدة فيتصل بها معتذراً؟

اخيراً جاء مساء السبت. قبل السابعة انهت جاسيكا جميع اعمالها وراحت تعد الدقائق والثواني وهي تجوب غرفتها ذهاباً واياباً. وتأكدت انه لن يصل في الوقت المحدد حين تجاوزت الساعة الثامنة. ولكن لماذا هي مضطربة؟ لماذا تساورها المخاوف ويتأكلها القلق؟ لماذا تأخر؟ هل هي الاعمال المتلاحقة؟ ام انه ازدحام السير؟ ام حادث طائرة مفاجيء؟

دنت من الهاتف علّها تحظى بصوت يهدىء روعها، وحين همت

لتناول السماعة، قرع الباب فخفت لتفتحه على مصراعيه. الحمدلله! زال خوفها واطمأن قلبها، وصل برودي سليماً معافى. ضمها بحرارة ورفق بعد ان لاحظ ان تأخره قد سبب لها القلق. وقال بشيء من العنف:

«كيف تفتحين بابك دون ان تعلمي من في الخارج؟».

«كنت اعلم انك انت القادم».

«يجب ان تضع ناضوراً على هذا الباب، فقد تضطرين في احد الايام لأن لا تفتحي لرجل غريب».

وتسمرت عيناه على السلسال الذهبي الذي اهداها اياه والمتدلي على صدرها الطري.

«المسؤول عن البناية سيهتم بالأمر».

في الواقع لم تكن تشغل بالها هذه القضية، إذ وهي تنظر الى برودي كانت نظراته تنذر بمغامرة عاطفية جديدة وهو يحدق بها بطريقة لم تألفها من قبل. ثم وافاها قائلا بصوت يقطر عذوبة.

«لم تزيني اذنيك بالحلى».

«لا املك قرطين مناسبين».

وشدها بقوة محنياً رأسه على كتفها فتغلغلت انفاسه تحت فستانها الحريري وهمس في اذنها:

«سنصحح الوضع».

ظنت ان وقفتها غير ملائمة وهو يبغي تبديل هذا الوضع. وتأكدت من صحة هذا التفسير وهي تراه يتراجع خطوة واحدة، لكنها ادركت بانها أخطأت الظن. فقد مدّ برودي يده الى جيبه واخرج علبة مربعة الشكل. فتحها بحركة رشيقة، فلمع فيها قرطان من الماس بلون الحبة المتدلية من السلسال الذهبي.

«انها لك يا حلوة العينين الخضراوين. هاتان الاذنان لا تستحقان

غير الماس!».

اطرقت رأسها وكأنها لا ترغب في قبول الهدية، واجابته متوسلة:

«برودي ارجوك لا تقدمها لي».

فتسللت يده الى عنقها لتداعبه بحنان وقال:

«من الافضل ان تتعودي قبول الهدايا مني، جاسيكا. فهذه لن تكون الاخيرة».

ترى لماذا يجلب الهدايا باستمرار؟ الأنه اتى فارغ اليدين الى شقيقتها فعاد خائباً؟

الا يعلم انها تنظر الى المال والجواهر بازدراء. وان ما تطلبه فعلا هو القلب الصادق والحب البعيد عن المادة؟

ربما يمطر عليها هداياه لأن جعبته فرغت من الحب. لكن قد تكون هذه الافتراضات وهماً من نسج الخيال. ورغم هذه الخواطر قررت ان تكمل حتى النهاية.

تناولت العلبة واتجهت نحو المرآة لتثبت القرطين في اذنيها، بدون ان تلحظ وجهه في المرآة وهو يتأمل الجواهر التي دفع ثمنها باهظاً. فهو ينفق المال كما يستهلك اية حاجة حياتية ولا تبهره الحجارة الكريمة. فسألته:

«كيف تراهما؟».

«اصبحتا جميلتين عندما تدلتا من اذنيك».

رمقته بنظرة طويلة وقد ارتسمت سمات الرضى في عينيها. لقد بدا تلك الليلة يطفح برجولية فريدة. فقد وقف امامها بثبات وقوة، وارتسمت على جبينه معالم العنفوان والثقة بالنفس. فامتلكها شعور بالاعتزاز، واحست بالطمأنينة لأنها برفقة هذا الرجل. فسألته باهتمام:

«هلا نمضي؟».

كانت جلسة العشاء حميمة، صريحة وشعرت جاسيكا بالارتياح لأن الغموض بدأ يزول تدريجياً ولان علاقتهما تتجه نحو الصفاء.

عند منتصف الليل توقفت سيارة برودي امام شقة جاسيكا. عند الباب اخذ منها المفتاح وبعد ان ادخله في القفل سألها:

«هل تنوين دعوتي للقهوة؟».

«بكل سرور».

وانتقلت يده الى خصرها ليسيرا الى داخل الشقة. اقفل الباب واعاد لها المفتاح فرمته في حقيبة يدها واتجهت نحو المطبخ.

«الى اين انت ذاهبة؟».

«لأصنع القهوة».

«انسي الآن موضوع القهوة. تعرفين انها مجرد حجة، ليس اكثر».

وشد قبضته على يدها ومشى بها ناحية الاريكة. اجلسها الى جانبه، ومن دون اية مقدمات راح يعانقها بحماسة. احست جاسيكا برغبة جامحة تشتعل في عروقه، فلمساته تلهب حواسها، ونظراته الثاقبة تلتهم انوثتها. وأحنى رأسه على كتفها وراح يهمس بكلمات نابعة من اعماقه:

«انت لي الآن بكليتك. اريدك يا حلوة العينين الخضراوين... لا تقولي لا».

كان طلبه يهز كيانها وتوسله يقوض احلامها الذهبية. ولكن، اية برودة جليدية يولد الماس المعلق في اذنيها والذهب الغالي حول عنقها!

فانتفضت فجأة، فقفزت بعيداً عن الاريكة التي اجلسها عليها. وشعرت بالخجل بسبب علاقتها الجديدة.

واحتضرت الكلمات على شفتيها. العبارة الوحيدة التي اعتصرها

لسانها، كانت كلمة «لا استطيع».

واندفعت يداها نحو القرطين الماسيين فانتزعتهما من اذنيها. كيف قبلت هذه الهدايا؟

هل استحالت الى امرأة تتقاضى مسبقاً اجر السعادة التي تؤمنها؟ واردفت:

«اشعر اني سلعة تريد ابتياعي بمالك».

اشتعلت نار الغضب في عينيه. امسك بكتفيها، وهزها بعنف فتطاير القرطان من يدها وصرخ بقوة:

«الم تنته من هذه المهزلة؟».

اختفت انفاسها في صدرها وطغت ثورته العاصفة عليها، فعادت الى صوابها.

كانت تعتقد انه لا يعرف الانفعال ولا الغضب، فتمتمت:

«اعلم... ذلك».

فكرر كلامه بصرخة عنيفة:

«الحلى كانت هدايا لا أجراً على خدمات».

وبعد ان توقف عن هز كتفيها، نظر اليها باحتقار واضح، ثم تقدم بكبرياء نحو المكان الذي تدحرج فيه القرطان الماسيان، فلمهما واعادهما لها صارخاً!

«خذي».

اخذتهما من يده، وفكرت بانها قد تكون ظلمته بادعائها. وامتلكها شعور بالذنب، فتمتمت مطرقة رأسها لتخفي شحوب وجهها وهمست:

«اني اعتذر!».

مد يده الى وجهها فرفع رأسها قائلاً بجفاف:

«سنتناول العشاء معاً في الاسبوع المقبل. لا اعلم اية ليلة، سوف

اتصل بك».

لم تستطع ان تتفوه الا بعبارة:

«لا تزعج نفسك».

كانت متأكدة من انها لن تراه بعد اليوم.

«تصبحين على خير».

توقف عند الباب ليرميها بنظرة اخيرة. ثم اقفل الباب خلفه وانصرف.

لم ينقطع برودي عن الاتصال بها. كانت تلتقيه مرة على الاقل او مرتين في الاسبوع، ولم يتخل ابداً عن تقدمة الهدايا، سوار من الذهب، سترة من الكشمير... ولم تعد تبدي اي اعتراض. انصاعت لرغبته وفضلت ان تقبل كل شيء خوفاً من ان تجرح شعوره.

ذات يوم، اكفهرت السماء، وكان البرق يلمع، والرعد يدوي فترتجف الأرض ويهتز زجاج النوافذ، ثم انهمر المطر بغزارة. فأوت جاسيكا الى شقتها متأففة من هذه العاصفة الربيعية. كان برودي قد اتصل بها ليقول انه سوف يزورها تلك الليلة، لكن الطقس المجنون غيّر كثيراً بمواعيد وصول الطائرات التي اجبرت ان تبدل وجهة سيرها وتحط في مطارات اخرى. ولكن، لماذا لم يتصل بها ليخبرها اين هو الآن؟ لا بأس سيفعل ذلك لدى هبوطه.

قرع الجرس فترددت في فتحه. يا لدهشتها!

برودي يتحدى العواصف ويكذب النشرات الجوية. انه هنا امامها؟

«من اين جئت؟ لا يعقل ان تهبط الطائرة في مثل هذا الطقس».

«كانت سفرة مجنونة. ولكن ليس من قوة تبعدني عنك».

شعرت ان هذه الليلة مختلفة عن الليالي السابقة. لقد كان الاعياء

ظاهراً على تقاسيم وجهه وبدت النضارة غائبة عن عينيه، فقالت له:

«سترتك مبللة، من الافضل ان تخلعها عنك».

ووقفت وراءه لكي تسعفه على خلع سترته، وفيما هي تنشرها على الكرسي اعلن لها:

«هديتك داخل جيبها».

«سآخذها بعد قليل. ما رأيك بكوب من العصير».

وافق، ثم سألها:

«هل تسمحين بان استخدم الهاتف؟».

«طبعاً!».

جلس برودي على الاريكة وقد وضعت جاسيكا كوب العصير الى جانبه، فشكرها وتركز انتباهه على الهاتف.

«الو، درو، انا برودي».

وسمع صوت وكيله بوضوح. حتى ان جاسيكا كان بوسعها الاستماع الى كل كلمة.

«برودي! من اين تتكلم. مضت ساعتان وانا ابحث عنك».

«انا في شاتانوغا».

«شاتانوغا!».

وسمع صدى الكلمة في الغرفة.

«انها المرة الخامسة او السادسة تتوقف هناك من غير ميعاد. انتبه لي. اذا قررت متابعة التعاون مع جانسون ستكون الخسائر فادحة. هذا الرجل ليس صالحاً للمنصب الذي اوكلته اليه».

تربع برودي على الاريكة وحاول فك رباط عنقه فاقتربت جاسيكا لتساعده. وفكت الازرار الثلاثة العليا من قميصه، بينما هو يرد على درو:

«انا لست هنا لألتقي جانسون».

«اذن ماذا تفعل عندك؟ هذه الشقراء تشغلك عن اعمالك. اعتذر ان كنت احشر انفي بأمورك الخاصة لكنه يعز عليّ ان ارى مصالحك مهددة».

«ارجوك درو انا اعرف كيف اتدبر اموري ولست بحاجة الى المواعظ».

كانت نبرته قاطعة وكافية لأنهاء الموضوع ثم اردف قائلاً:

«التقرير الذي قدمه لي كليف عن المواد الأولية في مامفيس لصناعة المعلبات، غامض. قل له ان يوافيني بالتفاصيل الواضحة على المطار».

«في اية ساعة تصل».

«عليّ ان اجتمع بصاحب مصرف ناشفيل الساعة... التاسعة على ما اظن».

كان يحسب الوقت ويتذكر مواعيده ثم تابع.

«اجل التاسعة».

«حسناً سأطلب من كليف ان يوافيك الى ناشفيل التاسعة تماماً».

وعلقت جاسيكا على الحديث:

«درو على حق انك ترهق نفسك».

فأمسك بيدها وقبلها بلطف، ثم دفعها بيده مذكراً:

«هيا، اذهبي وافتحي هديتك».

اخرجت العلبة، فكت شريطتها، نزعت عنها الورقة ورفعت الغطاء. انها قداحة ذهبية، اثبت عليها حرف «ج» من الماس. تأملتها باعجاب شاكرة، ثم اضافت:

«الافضل ان نتناول العشاء هنا، عوض ان نذهب الى المطعم».

«عظيم! اكاد اتضور جوعاً. قدموا لي المآكل في الطائرة، فاعتذرت، لأني اريد تناول العشاء الى جانبك».

دخلا المطبخ، وانتصرت الوجبة على ما تحويه خزائنها من مآكل سهلة التحضير. بعد العشاء وضعت الصحون في الحوض على ان تنظفها فيما بعد، وحضَّرت القهوة ولحقت ببرودي الى غرفة الجلوس.

«ما رأيك بفنجان قهوة؟».

اجابها مازحاً:

«اهتمام خاص. كوب عصير عند الوصول، عشاء شهي ثم قهوة! انك تحاولين احراجي بضيافتك وكرمك».

لم تعد تصغي الى الثورة المحتدمة في الطبيعة فبرودي يجلب حواسها ويستأثر بانتباهها.

وناداها بسلاسة:

«تعالي اجلسي هنا».

اقتربت وألقت رأسها الى صدره لتسمع همساته وتشعر بالدفء والحنان. ثم راح يسترسل في ملامسة عنقها ومداعبة شعرها برقة متناهية. اية لذة تفوق هذه، فهي تشعر انها تحلّق فوق آفاق بعيدة، تضيع وتغيب وتنسى وجودها في سكرة الحب! لحظات السعادة بين يديها. من قال ان السعادة وهم وكذبة في قصائد الشعراء؟

حين لاحظ برودي ان حبيبته تضيع في شرود وتغمرها نشوة الحب، سألها بعذوبة:

«اليس هذا افضل من القهوة؟».

وتنهدت وقالت:

«افضل بكثير!».

«والآن، ان كنت حقاً تريدين ان تظهري حسن ضيافتك فعليك ان تقدمي لي مكاناً للنوم».

ارتجفت شفتاها وهي تلمس الاغراء في طلبه.

«لديّ غرفة خاصة بامكانك النوم فيها».

«تعلمين انني لن اقبع في هذه الغرفة وحيداً».

وحاول ان يضمها باسلوب جديد لكن جرس الهاتف قطع حديثه.

وقفزت من مكانها كالسارق الذي يسمع خطوات قرب الباب وسمعته يلعن الطالب وهي تنحني لترفع السماعة:

«آلو هل برودي موجود. دعيني اكلمه».

انه صوت غريب، وتطلعت الى برودي سائلة بالاشارة ان كان يرغب في الاجابة. كانت مقلتاه موشحتان بالسواد وتنفذ منها زرقة ثاقبة. وهمس قائلا:

«أسأليه من يكون؟».

فابعدت يدها عن الفوهة سائلة:

«ومن المتكلم اذا سمحت؟».

«بلغيه. انا جيم- الطقس يمهلنا».

وضعت يدها على الفوهة موضحة:

«شخص اسمه جيم يقول شيئاً عن الطقس».

«دعيني اتكلم اليه».

أخذ برودي السماعة قائلا:

«اهلا جيم. ماذا تقول؟».

«حسناً انا قادم اليك».

وتردد لحظة وأعاد السماعة الى مكانها. ثم نظر الى جاسيكا قائلا.

«انه سائق طائرتي. الرادار يظهر ان الغيوم ستنحسر عن المنطقة نصف ساعة فقط.

وهناك عاصفة اخرى قد تصل خلال ساعة او ساعة ونصف. فاذا اردنا الرحيل هذه الليلة ينبغي ان نسرع».

«سائق طائرتك. تعني انك تملك طائرة خاصة».

«لكنها «جيت» صغيرة».

وضحكت مستغربة.

«طائرة جيت صغيرة؟ ما كنت احسب انك تملك طائرة خاصة وطاقماً».

«ساصطحبك في نزهة جوية ذات يوم . . . عليّ ان اغادر الآن. الأرجح اني قد اعود الثلاثاء المقبل».

ونهض عن الاريكة للانصراف.

«سأكون بانتظارك».

وضمها بسرعة بدون ان يكون لديه الوقت الكافي للوداع العاطفي، وظلت ترافقه بنظراتها الى ان اختفى في الظلام».

١٠ - عودة الماضي!

نهار الثلثاء وبسبب اجتماع هام، تأخرت جاسيكا في المكتب، لذلك عادت الى شقتها مسرعة ليتسنى لها ان تستحم وترتاح قبل وصول برودي. ولكنها استغربت حين وصلت ان تجد الباب مفتوحاً. فقد كانت متأكدة من انها اقفلته جيداً في الصباح. دخلت بحذر.

أمر غريب! رائحة «الروستو» تملأ البيت. تساءلت: ترى هل هو برودي، وصل باكراً فأقنع البواب ان يعيره المفتاح الذي بحوزته؟

تقدمت ببطء، واذا بسيدة شقراء تستوقفها عند زاوية المطبخ فبادرتها:

«جاسيكا، وصلت في الوقت المناسب!».

صرخت مذهولة:

«جوردانا، ماذا تفعلين هنا؟».

«مفاجأة! توم اخذ فرصته، عهدنا بالأولاد الى أبي وأمي، وها نحن في رحلة لمدة اسبوعين».

قبل ان تصحو جاسيكا من صدمتها، عانقتها جوردانا بحرارة. لكن جاسيكا سألتها من دون انتباه:

«كم ستمكثان هنا؟».

«نحن في طريقنا الى مامفيس لنزور جوستان ثم ننتقل الى نيو اورليان، لنقضي بعض الوقت مع اهل توم. قررنا ان نمضي ليلتنا عندك لقد طال البعاد، لم نشاهدك منذ عطلة الميلاد».

واقتربت جوردانا لتتفحص معالم شقيقتها جيداً.

«كم تغيرت يا جاسيكا!».

امعنت النظر في وجهها لتستدل الى التغيرات التي طرأت على مظهرها. ثم هتفت وكأنها كشفت سرها الخفي:

«لا بد ان في حياتك رجلاً».

بلعت جاسيكا ريقها ولم تشأ ان تخفي الحقيقة:

«أجل هناك رجل».

«ستخبريني بكل شيء، تعالي معي الى المطبخ، اني احضر العشاء، روستو مع البطاطا والجزر».

ارادت جاسيكا ان تتخلص من هذه المواجهة الصعبة فقالت:

«اريد ان استحم وارتاح بعد عناء يوم طويل».

«توم في الحمام. عليك ان تنتظري. بالمناسبة القهوة جاهزة. باستطاعتك ان تصبي لك فنجاناً. انا اهتم بترتيب الطاولة».

الله! كم تغيرت جوردانا! بدت اكثر جمالاً من الماضي. لقد اضفت الأمومة الى محياها مسحة من النضوج وهالة من الفرح.

وشعرها الملون بالصباغ الفضي صففته بشكل تبرز معه استدارة وجهها ونضارة عينيها الخضراوين.

ولكن! كيف يتاح لجاسيكا ان تخرج من هذا المأزق الحرج؟ ما بها صامتة فلا تجد كلمة واحدة تقولها؟ وسألت جوردانا:

«كيف حال الأولاد؟».

«بخير. جولي مضطرة لوضع مقوّم لاعوجاج الاسنان. انها مغتاظة، تماماً كما حصل لك في الماضي».

بدت جاسيكا شاردة، لا تصغي الى حديث شقيقتها. وراحت تفكر: أين هو برودي الآن؟ هل من وسيلة لتتصل به فتنبئه بقدوم توم وجوردانا؟ ينبغي ان تمنعه من المجيء بأية طريقة.

ايقظتها جوردانا من شرودها:

«جاسيكا ما بك هل تسمعين؟».

فأجابت مرتعشة:

«عذراً اظنني كنت احلم».

«لا بأس. لكن قولي لي من هو الرجل الجديد في حياتك؟ هل اعرفه؟».

وضحكت جاسيكا قليلاً وهي تجيب:

«من الأفضل ان لا تعرفيه».

أرادت ان تتهرب قدر المستطاع لكن توم ظهر في الوقت المناسب ليعفيها، وان الى حين، من الاجابة العسيرة. حتى الآن لا احد من عائلتها، باستثناء خالها، على علم بعلاقتها العاطفية. ثم انها تجهل ردة الفعل عندهم، خاصة شقيقتها التي عرفت برودي عن كثب.

«مساء الخير يا جاسيكا. كل مرة نراك فيها، تبدين اكثر جمالاً».

وعلقت جوردانا مازحة:

«ربما لانها وقعت في شباك الحب».

«كيف حالك يا توم. اني سعيدة بكما».

واستطردت جاسيكا واصفة ارتباكها عندما وجدت القفل مفتوحاً:

«في الواقع، لم اتوقع حضوركما في هذا الوقت. عندما وجدت باب شقتي مفتوحا، كدت اتصل بالبوليس. ظننت ان احداً خلع الباب ودخل».

«انها فكرة جوردانا. اردت الاتصال لاعلامك بقدومنا لكنها اصرت ان تفاجئك بهذا الشكل».

«هل علم جوستان انكما مقبلان لزيارته».

«جوردانا مصممة ان تفاجئه هو ايضاً».

وتمنت جاسيكا عليهما ان يتصلا به مسبقاً لئلا تساوره المخاوف التي تبادرت الى ذهنها. راح توم يتحدث عن برنامج رحلتهما الى نيو اورليان والأمكنة الاثرية التي سيقصدانها والأقارب الذين سيزورانهم، بينما جاسيكا في اضطراب واضح. وكان الوقت يمضي بسرعة دون ان يخطر لها اي حل. كيف تتصل ببرودي؟ وتذكرت انها نسيت سؤالاً مهماً كان يفرض بها ان تطرحه منذ البداية.

«كيف حال أبي وأمي؟».

أجابت جوردانا وهي تتابع تحضير الطعام:

«انهما بخير. والدي رافق توم في كانون الثاني الى مباريات الغولف. اصبح يستمتع جداً بهذه اللعبة ويمارسها من حين لآخر. اما والدتك فهي مشغولة هذه الأيام في تطريز غطاء للمائدة».

هذه المعلومات العائلية، لم تكن لتهدىء روع جاسيكا فاعصابها تزداد تشنجاً وركبتاها ترتجفان.

فجأة قرع جرس الباب فكاد قلبها يتوقف عن الخفقان. وهمهمت قائلة:

«انا افتح الباب».

تمالكت اعصابها جزئياً وهرعت نحو الباب. هذه المرة لن تشرعه كالعادة لبرودي. فتحته بحذر وقد ظهر الاضطراب جلياً على محياها، وبادرته بصوت منخفض:

«حدث ما لم يكن في الحسبان يا برودي. اني في مأزق، لا استطيع مرافقتك الليلة».

عقد برودي جبينه مستفسراً:

«ما الأمر؟».

ولم تثنيه ملاحظتها عن دفع الباب بغية الولوج الى الداخل. لكنها قطعت عليه الطريق مضيفة:

«أتاني زوار من غير ميعاد. كان بودي الاتصال بك، لكن. . . ».

وعلا صوت جوردانا وهي تتقدم نحو غرفة الجلوس:

«جاسيكا. هل لديك علبة فطر؟».

هكذا تشابكت نظرات برودي وجوردانا، فابتسم لها بدافع المعرفة السابقة. واذ لم تخف معاني هذه النظرات العاطفية على جاسيكا، تراجعت بضع خطوات مضطربة.

وجاءت كلمات برودي تقطر رقة وعذوبة:

«جوردانا! غير معقول انك تزدادين جمالاً مع تعاقب السنين».

«برودي هايس؟ اكاد لا اصدق عيني».

تقدم منها، اخذ يدها وقبلها احتراماً ثم قال:

«بعد هذه الغيبة الطويلة، لا اصدق انك تتذكرينني».

وتساءلت جاسيكا: ما معنى هذه الابتسامة العريضة التي اعتلت ثغر شقيقتها وهي تثبت ناظريها على برودي؟ كانت تعتقد انه سوف يثير عصبيتها، فاذا بها على العكس تراها سعيدة جداً بهذه المصادفة، وها هي تؤكد له:

«لم انسك ابداً يا برودي!».

وكادت جاسيكا تفقد صوابها. الاثنان لا يشعران بوجودها وكأنها وضعت على الهامش وسط هذا اللقاء الحميم.

استأنفت جوردانا الحديث مبدية رغبة قوية في استطلاع اخبار برودي دفعة واحدة:

«كيف قضيت هذه المدة؟ اين كنت؟ ماذا كنت تفعل؟».

وخرج توم من المطبخ فاعترته الدهشة وهو يرى زوجته تتحدث باهتمام الى رجل غريب. لكن جوردانا اسرعت الى تقديم الرجلين..

«هل سبق أن تعرفت الى زوجي توم؟».

ثم التفتت الى زوجها قائلة:

«انه برودي هايس».

اوضح برودي:

«لا اظن اننا التقينا من قبل».

قال توم:

«واذا لم اخطىء. انت صديق قديم لجوردانا».

فعلق برودي على فكرة الصداقة المزعومة مازحاً:

«عبثاً حاولت ان استميل جوردانا. لكنها كانت يومها واقعة في غرامك!».

كادت جاسيكا تصرخ لتضع حداً لهذه المهزلة فبرودي الأمس تغير ولم يعد ذاك الفتى الذي يقرع باب آل ثورن متوسلاً الى جوردانا ان ترافقه. انه هنا من اجلها فقط. ولكن، لماذا يتناسى وجودها ويعير كل هذا الاهتمام الى شقيقتها؟

بقي السؤال الأهم بالنسبة لجوردانا فسألت برودي بفضول:

«ولكن. ما الذي اتى بك الى هنا».

ولم يتح توم له فرصة الجواب فسأل بصراحة:

«ألست انت الرجل الذي دخل حديثاً الى حياة جاسيكا؟».

وبدت الدهشة واضحة في عين جوردانا. هل ما يزعمه زوجها صحيح؟ يا لسخرية القدر! هل قدر لشبكة برودي ان تصطاد احدى فتيات ثورن؟ وسألت برودي بلهفة:

«هل انت على موعد مع جاسيكا؟».

«اجل. بما انك تسألينني، ينبغي الاعتراف بالحقيقة. لقد تواعدنا على تناول العشاء معاً».

ثم رمق جاسيكا بنظرة كأنه يدعوها للانضمام اليهم والاشتراك في الحديث. واستأنف موضحاً: «الآن على الباب، ابلغتني انها الغت الموعد».

فقال توم:

«جاسيكا لم يكن من داع لالغاء الموعد بسبب وجودنا؟».

فبررت جاسيكا موقفها:

«انها ليلة واحدة. غداً لن يعود بامكاني الاجتماع بكما».

واعتذرت جوردانا:

«ما كنا نحسب اننا قد نخرب مخططاتك... في كل حال ستبقى بضيافتنا يا برودي. الروستو في الفرن وهو يكفينا نحن الاربعة».

لكن جاسيكا اعترضت مثيرة دهشة شقيقتها وصهرها:

«برودي كثير المهام. اذا اعفيناه من ضيافتنا، نؤدي له خدمة كبيرة فيصبح بامكانه تصريف بعض الأعمال في مكان آخر».

لكن برودي عارضها بصراحة وقال:

«لقد نظمت برامجي مع درو بشكل يخولني ان ابقى طليقاً من الآن حتى ظهر الغد».

وحاولت جاسيكا ان تخترع له سبباً آخر للانصراف:

«انا متأكدة من ان هناك حسابات ينبغي ان تلقي نظرة عليها».
وعلق توم على ملاحظتها:
«لا يمكن ان نصل الليل بالنهار في العمل. لا تصغ اليها يا برودي امكث معنا للعشاء».
والتفت برودي اليها قائلاً:
«خسرت الجولة. الاكثرية تربح. اذن سنبقى».
وتظاهرت جاسيكا مكرهة بالارتياح لبقائه فقالت:
«سوف نكون سعداء ان شاركتنا العشاء».
لكنها في الواقع، كانت تريده ان ينصرف، او بالاحرى ان يبتعد عن شقيقتها. وتابعت معللة موقفها.
«كنت اعتقد ان هناك اعمالاً ضرورية بانتظارك».
كانت جوردانا تريد ان تجمع اكبر قدر من المعلومات عن برودي فراحت تكثر الاسئلة:
«كيف تم اللقاء بينك وبين جاسيكا؟».
فأجابها بلهجة متزنة وكأن الذكريات لا تحدث فيه أي اهتزاز:
«التقينا عند منعطف الشارع منذ شهرين تقريباً».
ثم ابتسم وهو يرمقها بنظرات معبرة:
«كانت صدفة. لأول وهلة ظننتها جوردانا ولم اميز الفرق الا بعد بضع دقائق».
وتنهدت جاسيكا وهي تفكر ان الفضل يعود الى شقيقتها. فلولاها لما لفتت انتباه برودي. واذ شعرت بالخيبة من هذا التصور، انسحبت معتذرة لتهتم بالطعام.
في المطبخ بدأت الشكوك تخامرها. ما الذي دهى جوردانا؟ فعوض ان تلحق بها لاعداد المائدة فضلت الجلوس مع برودي وتوم؟ ترى، هل ما زال يحن الى الماضي ويتوق الى التعويض عن مغامراته

الفاشلة؟ ثم لماذا ينهش الحسد قلبها؟ هل هذه الخواطر مبنية على اساس من الصحة، ام انها مجرد اوهام تستولي على عقول العاشقين؟
ولحقت جوردانا بها لا لتشاركها في العمل فحسب ولكن لتستقصي معلومات اضافية عن برودي:
«لا شك انه ناجح في اعماله».
كانت تريد ان توافقها جاسيكا بتفاصيل حياته الحميمة لكنها غيرت الموضوع سائلة:
«من منا سيحضر الصلصة؟».
«انا بالطبع».
واستأنفت جوردانا الحديث عن برودي:
«انه حقاً رجل جذاب».
لكن جاسيكا ذكرتها بمواقفها الماضية من برودي هايس:
«يبدو ان نظرتك تبدلت بالنسبة اليه».
وقبل ان تعطي شقيقتها الفرصة للجواب، حملت طبق الروستو الى غرفة الطعام وقالت لصهرها:
«توم. انت تقطع الروستو».
خلال العشاء استأثر برودي وجوردانا بالحديث وهما يسترجعان ذكريات الماضي. وقلما اشترك توم بتسجيل بعض النقاط الهامشية.
اما جاسيكا فتفاقمت هواجسها التي حاولت اخفاءها بالخدمة. تارة تقدم الطعام، وطوراً الفاكهة ثم القهوة، واحست نفسها كالخادمة المنسية. بعدها اخرجت جوردانا من حقيبتها ملف الصور داعية برودي لتأمله.
«هذان ابني وابنتي. اصبحا في عمر الشباب. انهما في زهوة دائمة، يذكراني ايام كنا في عمريهما وكنت تقصد بيتنا لتدعوني لنزهة بالسيارة».

وأجابها برودي مازحاً:

«يومها اوقفتني عند اسفل الدرج ولم تسمحي لي بالتقدم خطوة واحدة. . . في كل حال انا لا الومك. لم يكن لك مصلحة مع فتى قذفت به المدنية على قارعة الطريق!».

«انت مخطىء يا برودي. لم تخطر ابداً هذه الفكرة على بالي. لولا وجود توم في حياتي لقبلت بالتأكيد دعواتك المتكررة».

هال جاسيكا ان تسمع هذا العتاب والتبرير الصريحين، فاعتذرت مضطربة.

«ارى من الأنسب ان ابدأ بغسل الصحون».

واعترضت جوردانا:

«نغسلها فيما بعد».

فأصرت جاسيكا:

«افضل الآن. لقد اصبحت الساعة متأخرة».

وأراد برودي ان يحسم الجدل:

«جاسيكا معها حق. لقد تأخر الوقت. لا شك تريدون ان تدردشوا منفردين بأمور عائلية، وعليّ الانصراف».

بينما هو خارج، رمق جاسيكا بنظرة تدعوها لمرافقته حتى الباب. ثم ودع جوردانا وزوجها متمنياً لهما رحلة سعيدة. ولحقت به جاسيكا لترافقه حتى المدخل الخارجي. عند العتبة مد يده الى جيبه وأخرج منها علبة وسلمها لها قائلاً:

«هذه لك. لم استطع تقديمها خلال العشاء».

التقطت يداها الباردتان هديته بدون ان تفارق نظراتها وجهه. كان بودها ان تعاتبه، ان تقول له: قدم هديتك الى جوردانا فهي تشغل بالك اكثر مني. لكنها حبست انفاسها وامتلكت اعصابها، وهو يضيف:

«انه عقد من اللؤلؤ. ليس بوسعي البقاء لأقدمه بيدي».

فأجابته باختصار:

«شكراً لك سأفتحها بنفسي».

وانصرف قائلاً:

«سوف اتصل بك».

عندما رجعت الى غرفة الجلوس سألتها جوردانا مستفسرة:

«ما الذي تحملينه بيدك؟ هدية؟

«اجل».

«حسناً. افتحيها. الا تريدين ان تعلمي ما في داخلها؟».

كانت جاسيكا تفضل ان تؤخر فتح العلبة، لكنها وجدت نفسها مضطرة للاستجابة الى رغبة شقيقتها. حلت الشريط ورفعت الغطاء فهتفت جوردانا بإعجاب:

«عقد لؤلؤ. انه رائع!».

وسأل توم:

«ما هي المناسبة التي دعته لتقديم هذه الهدية؟».

«ليس هناك من مناسبة فبرودي يجلب لي الهدايا باستمرار».

ابتسمت جوردانا مهنئة:

«انك محظوظة، مبروك».

ثم التفتت الى زوجها مازحة:

«هل كنت تجلب لي الهدايا يوم كنا نتواعد على اللقاء؟».

«لم اكن اريد تدليلك!».

ثم اضاف وهو ينظر ملياً الى اللؤلؤ:

«من أين لي المال الوفير لاغدق عليك بالهدايا الثمينة كهذه!».

بعد ذلك انهمرت الاسئلة على جاسيكا، عن علاقتها ببرودي، عن مشاريعها المستقبلية فكانت تارة تجيب وطوراً تغفل الحقيقة الى

ان استولى النعاس على صهرها فتمنت لها نوماً هنيئاً.

في الصباح تظاهرت جاسيكا انها ترغب في استبقائها مدة اطول. لكنها في الحقيقة كانت تفضل ان يرحلا على الفور. فودعتهما متوجهة الى المكتب. هناك، بدأت تسترجع ذكريات الأمس، وشعرت بشيء من تبكيت الضمير. لماذا نظرت الى جوردانا مرتابة، حسودة؟ فهي شقيقتها وليست منافستها في الحب. وفي غمرة هذه الافكار، دخل عليها برودي بدون ان يقرع الباب. وقد بانت عليه سمات العنفوان. فتنهدت مستغربة:

«ماذا تفعل هنا؟».

«فأجابها بلهجة جازمة:

«جئت ادعوك الى الغداء».

«ولكنك قلت في الليلة الماضية انك على موعد عند الظهر».

«أجل عندي موعد في ناشفيل. سنطير ونتناول الغداء هناك، الم اعدك برحلة في طائرتي الخاصة».

«ولكني لا استطيع...».

فقاطعها بدون ان تكمل اعتراضها:

«انك تستطيعين. اخذت لك الموافقة من خالك. فلا مانع لديه من تسريحك لبضع ساعات. لا تنسي، انت جلبت اكبر الزبائن للمؤسسة: شركة جانسون، هيا احضري حقيبتك. لم يعد لنا الكثير من الوقت.

ما هي الا دقائق معدودة، حتى وجدت نفسها جالسة في سيارته، وانطلق بهما السائق الى المطار. في الطريق بدأ برودي الحوار:

«لا بد ان توم وجوردانا غادرا باكراً هذا الصباح؟».

«أجل لم يتأخرا».

ورمقها بنظرة متسائلة قائلاً:

«ما الذي جعلك تستعجلين انصرافي الليلة الماضية؟».

حاولت ان تبرر نفسها وكأنها تشعر بالذنب فقالت:

«لم اكن اقصد التخلص منك، في كل حال. اردت فقط ان اراعي ظروفك فوجدت انه من الانسب ان تعد الى فراشك وتستريح عوض ان تستمع الى الدردشات العائلية المملة».

«ولكن الحديث لم يكن مملاً».

وشعرت انها طعنت في الصميم، فهو لا يشعر بالسأم مع جوردانا. فأرادت ان تنهي الموضوع كي لا يلاحظ اضطرابها المفاجىء.

توقفت السيارة بالقرب من محطة طائرته الخاصة. صعدا السلم ودخلا. هناك اهتم برودي بتقديمها الى الطاقم: جيم كانت، فرانك مورفي.

لقد جهزت طائرته بشكل يؤمن الراحة، ولفت انتباهها المكتب الفخم الذي ركزت حوله مجموعة من المقاعد بشكل دائرة، وفي احدى الزوايا، وضعت اريكة مريحة للنوم فسأذا برودي وقد جلس قبالتها:

«هل سبق أن سافرت بالطائرة».

«أجل. ولكن ليس بطائرة كهذه».

واستطرد مبيناً اهمية الطائرة بالنسبة الى تسهيل اعماله:

«انها تؤمن تنقلاتنا على وجه السرعة انا وكليف ودرو. ثم انها مجهزة بكل وسائل الراحة كما ترين».

وسألته:

«كم من الوقت يلزمنا للهبوط في ناشفيل؟».

«انها رحلة قصيرة وها هو جيم يستعد للهبوط. للأسف لم يعد لدينا متسع من الوقت لكسب جولة الاغراء

واستفسرت باهتمام:

«ماذا تقصد؟».

فأجابها وهو يفك حزام كرسيه:

«معنى ذلك، يا حلوة العينين الخضراوين، الحب على ارتفاع ميل من الأرض!».

عندما حطت الطائرة في مطار ناشفيل، كانت سيارة بانتظارهما، فانتقلا لتناول الغداء في اشهر مطاعم المدينة. بعدها عاد بها برودي الى المطار ليحلقا من جديد متجهين الى شاتانوغا.

عندما توقفت سيارة برودي امام مبنى شقتها، استودعها بضمة حميمة، مؤكداً:

«سأتصل بك في الاسبوع المقبل».

اذن ستنتظر ككل مرة ولكن هذه المرة امتلكها شعور بأن الانتظار مع برودي لا نهاية له!

١١ - انتهى كل شيء

ذاك الاسبوع لم يتصل بها برودي فجلست تتساءل اذا كان يعد لمفاجأة جديدة.

كانت عائدة من المكتب في المساء عندما توقفت سيارته بالقرب منها. وسمعت نقراً على الزجاج فالتفتت لتجد برودي يناديها:

«هل نذهب في نزهة؟».

«حسناً. امهلني دقيقتين لكي ابدل ملابسي».

«لا لزوم لذلك فملابسك لا تشكو من شيء».

«ولكن...».

«هل تنتظرين المزيد من الالحاح في الدعوة؟».

«كلا لم اقصد ذلك».

«هيا اصعدي اذن».
قالها بصيغة الأمر فصعدت.
ابطأ برودي سرعة سيارته قدر المستطاع، ليسهل عليه التحدث الى رفيقته وسألها مبتسماً:
«هل انت غاضبة، لأني لم اتصل بك؟».
أجابت باختصار:
«لا لست غاضبة».
عرف ان طريقة دعوته لها، اصابت كرامتها بالأذى فمد يده الى رأسها وراح يداعب عنقها برفق، فأحست بانها اصبحت الحمامة الوديعة بين يديه. لا تعرف التذمر ولا الغضب. حتى انها لم تعد تطلب من برودي ان يراعي معها اللياقات المألوفة. المهم ان يزورها باستمرار لأن غيابه يدفع اليأس الى نفسها.
وسألته بهدوء:
«هل كان اسبوعك حافلاً بالأعمال؟».
«اسبوع عادي، بشكل عام».
انحدرت السيارة باتجاه طريق شائكة تتوجه الى خارج المدينة فسألته:
«الى اين نحن ذاهبان؟».
تظاهر بعدم الانتباه وبدل الموضوع
«نسيت هديتك انها في الحقيبة».
وفتحت جاسيكا الحقيبة مخفية امتعاضها بسبب اهماله لسؤالها فعثرت على ظرف كتب عليه اسمها. ترددت قليلاً في قبوله هل يعقل ان يحتقرها ويقدم لها مبلغاً من المال؟
«هيا افتحيه».
راحت تفتح الظرف ببطء وتتساءل اية هدية غريبة هذه. مفتاح!

«لماذا هذا المفتاح؟».
ابتسم بارتياح وقد اوقف سيارته في المدخل الخارجي لاحدى الفيلات. ثم اشار الى الباب الرئيسي.
«انظري. لماذا لا تجربيه في قفل هذا الباب؟».
ترجلا من السيارة وتوجها معاً نحو البوابة الفخمة. هذه المرة بدت معالم الغموض على وجه برودي وتواردت مئات الاسئلة الى خاطر جاسيكا. ادخلت المفتاح بيد مرتعشة، وفتحت بدون ان تفهم الى اي بيت تدخل.
بضعة خطوات الى اليمين وظهرت امامها غرفة جلوس مميزة. ارض مفروشة بقطع من السجاد الشرقي الفاخر. عند الجدار المواجه للباب، انتصبت على ارتفاع مترين مدخنة يلمع على جوانبها البلاط الرخامي وتشتعل في داخلها نار اصطناعية.
على الجدارين الآخرين، وضعت على مسافات متفاوتة مجموعة من المقاعد المريحة.
منذ دخلا سمعت جاسيكا موسيقى عذبة تتسلل الى اعماق نفسها ولم تلحظ من الجهاز الخفي سوى فوهات المكبرات في الزوايا.
اشعل برودي الأنوار فتدفقت الوان متنوعة تضفي على الغرفة حالة من الروعة والسحر، ثم مشى بها الى غرفة طعام صممت باسلوب حديث ثبتت على جدرانها لوحات فنية تبعث الارتياح في النفس بألوانها الزاهية كما تدلت فوق زجاج النوافذ ستائر حريرية تتناسق رسومها مع الوان السجادة الرمادية وقماش المقاعد العسلية.
دخلا الى المطبخ الوسيع الملاصق لغرفة الطعام فرأت جاسيكا الأرض المرصوفة بالبلاط الأزرق والجدران المغلفة بطبقة نحاسية بلون الياقوت. وكانت الخزائن فوق المغسل الرخامي وتحته مصنوعة من اجود اصناف الخشب وقد ثبتت عليها قبضات معدنية ثمينة.

كان المطبخ مجهزاً بأحدث الأدوات واشهرها. بعد ذلك انتقلا الى غرفة المطالعة. انها مضيئة وتشرف على حديقة صغيرة. وضع في الصدر الأمامي مكتب خشبي زين بالرسوم المحفورة باليد. كما ركزت اشهر المؤلفات القديمة والحديثة على رفوف خشبية وضعت على الجدارين المتقابلين.

قاعة الاستقبال الرئيسية، فرشت بأحدث المقاعد التي لا تعرض عادة في صالات المفروشات. اما غرف النوم، فقد كان هنالك اثنتان للضيوف فرشتا بالألوان الربيعية، بالاضافة الى غرفة نوم رئيسية يهيمن فيها سرير من القياس الكبير، الى جانبه كنبتان مريحتان. وقد لاحظت جاسيكا تناسق هذه المفروشات جميعاً من حيث الوانها واسلوب تصميمها وزخرفتها.

قطع برودي خيط الصمت قائلاً:

«ما رأيك بهذا البيت؟».

أرخت يدها الى خصرها مجيبة:

«ماذا اقول؟ انه رائع».

«هل هو جميل كفاية للسكن فيه؟».

ونظرت اليه ملياً كأنها لم تفهم ما يقصده بالسؤال. ولم يستمهلها للاجابة فأضاف:

«انه بعيد عن ضوضاء المدينة ويتيح الخلود الى الراحة».

رقص قلبها من الفرحة وهي تسمعه يقول:

«أظن انك ستستمرين في العمل، وان كنت اتوق ان اراك كل يوم في انتظاري عند عتبة هذا البيت».

غمرت السعادة نفسها وبات لسانها عاجزاً عن التعبير فهي لطالما انتظرت هذا التصريح العذب. برودي اليوم، ليس برودي الأمس. فهو لم يعد الانسان الغامض الذي يقودها بمغامراته نحو المجهول.

انه الرجل الذي سيسير الى جانبه رحلة العمر والذي يفرش امامها دروب المستقبل بالورود. وناب العناق الطويل عن كلام الحب المعسول... فاستفاقت جاسيكا من غيبوبتها بينما بقيت ذراعها تلف عنقه بعذوبة وسألت برودي بصوت تذوب فيه رقة الانوثة.

«لي طلب لا يخلو من الانسانية... حاول ان تتفرغ اسبوعاً من العمل لقضاء شهر العسل».

تجمد برودي في مكانه وتشنجت اعضاء جسده وهو يستغرب:

«اي شهر عسل؟ عمّ تتكلمين يا جاسيكا؟». واذا بيده تدفعها بعيداً عنه.

وقفت مذهولة، عاجزة ان تحل اللغز الكائن في عينيه ثم اردفت متلعثمة:

«ألست انت... انت من عرض علي ذلك».

واختنق صوتها وهي تقرأ الجواب في تجهم وجهه وجاء رفضه لزعمها قاطعاً:

«لا. لا استطيع الزواج منك يا جاسيكا».

وابتعد بضع خطوات عنها ليشعل سيكارته ولاح عبوسه جلياً من خلال سحاب الدخان المتصاعد.

اما هي فانتابها الاعياء واحست بحاجة للجلوس. ولكن. اية ثورة عارمة تغلي في عروقها وتكاد تنفجر!

لم الصمت؟ الم يحن الأوان لوضع الأمور في نصابها الصحيح؟ ومع انها حاولت ان تكبح جماح غليانها، صرخت بصوت متهدج:

«لماذا؟ هل عندك زوجة ترفض الطلاق منك؟ هل هي مريضة او معاقة؟».

واجابها بصوت خشن:

«لا زوجة عندي والزواج بالنسبة الي خارج عن الموضوع».

«فهمت. . .».
لقد وعت الحقيقة كاملة الآن. جوردانا هي المرأة التي كان يحلم بها. وبعدها نزع فكرة الزواج من رأسه. فواجهته بنبرة حاسمة:
«اذن تريدني عشيقة لك، ليس الا».
«ان كان هذا رأيك، فهو كذلك».
وردت عليه بسرعة وبعنف:
«لماذا تجهد نفسك اذن في ترتيب هذا البيت؟ لماذا لم تطلب مني ان اترك عملي واتنقل معك من بلد الى آخر؟».
«لأني لا اريدك جارية عندي».
«وما هي العشيقة في نظرك. اليست انسانة مملوكة ومستعبدة».
«لا اريد ان ادخل معك في جدل بيزنطي حول تحديد العشيقة».
في تلك اللحظة خطرت لها فكرة بعثت القشعريرة في جسدها فتساءلت اتراه يهوى اصطياد النساء، وبات يملك عشرات الطرائد؟ فسألته:
«هل جهزت منازل مريحة كهذا في المدن الأخرى التي تزورها؟».
جلس قبالتها وقد فهم مغزى تساؤلها فقال:
«لا انكر ان في حياتي عدة نساء، لكنك الوحيدة التي اريد ان احافظ على علاقتي بها».
«واذن انت توزع قلبك علي وعلى الاخريات؟».
«افهميني جيداً، قلبي لم يتوزع على الاخريات. على الاقل منذ اليوم الذي التقيتك فيه».
وتحولت لهجته الى شيء من العنف:
«يجب وضع حد لهذا الجدل العقيم فإما ان نستمر في الحب او كل يسير في طريقه».
وساد صمت عميق قطعه اخيراً برودي وهو يسير نحو الباب:

«وانا نازل الى الطابق السفلي لارى ان غيروا لي جهاز التدفئة. تأملي موقع البيت، فإن لم يعجبك سنبحث عن غيره».
لدى خروجه تزاحمت الخواطر في رأس جاسيكا. كان كلامه بمثابة تهديد، لكنه عدل عن رأيه واعتبرها باقية. هل من الأفضل ان تستسلم لمشيئته. فالسؤال المطروح هو ليس هل تحبه انما هل تستطيع التخلي عنه. وانتابها يأس شديد فارتمت على الفراش لتبلله بدموعها الحارة.
في هذه الغرفة بالذات كانت تحلم ان تغمض عينيها على ذراعه وتستيقظ على نغمات صوته. وهذه الخزانة الم تكن معدة لتضم ملابسها وملابسه؟ واذ غمر الحزن نفسها، دنت من الخزانة وفتحت بابها بيد واهنة فوجدت مئزراً نسائياً معلقاً فيها، فعلمت ان برودي كان عقد النية ان يبيتا ليلتهما هنا. من يدري؟ لو فتحت البراد والخزائن لوجدت فيها جميع الحاجيات المطلوبة للأكل والشراب. وراودتها فكرة رهيبة. خلعت ثيابها بسرعة، علقتها في الخزانة ولبست المئزر ثم دنت من المرآة لتصفف شعرها المبعثر. واخذت ترتجف كالورقة المزيلة وسط العاصفة. انه برودي يصعد الدرج. تسمر امامها كالصنم فاحست انفاسها تتقطع. اي رجل هذا يجمد عواطفه ساعة يشاء ويطلق لها العنان ساعة يشاء فتنفجر كالبركان! وبدا انه رهن اشارة منها ليستجيب الى رغباتها المجنونة. فقالت له بصوت ملتهب.
«برودي انا لك افعل بي ما تشاء».
وبيد مرنة، اجتذبها الى جانبه وراحت يده تداعبها، وهي تختلج بين يديه كالطفل الرضيع تحنو عليه امه بلمساتها الرقيقة.
ولاحظ برودي انها تذوب نشوة فقال بصوت حنون:
«كم تبدين جميلة يا حلوة العينين الخضراوين!».

وللمرة الأولى تساءلت لماذا يدعوها بحلوة العينين الخضراوين كلما استعرت شهوة الحب في قلبه. أليتغزل بها؟ ام ان هذا اللقب يخص جوردانا ولا علاقة لها به؟ ومن يدري، قد يكون يحب شقيقتها بشخصها. وهنا الكارثة فقد يستفيق من سكرته قريباً ويعرف ان المرأة التي بين يديه، هي جاسيكا وليست جوردانا.

خافت حين احست بأن الوجه المزيف سينكشف اخيراً ويسقط القناع فتصبح بالنسبة له ثوباً بالياً يرميه في سلة المهملات، فتمتمت:

«لا».

لم يسمعها برودي فقد كان غارقاً في احلام الحب واعقبتها بلا، ثانية وثالثة. فهمهم برودي:

«ما الأمر؟».

وظن انه سبب لها ألماً من غير قصد. استولت عليه الدهشة وهو يراها تغمض عينيها ثم تصرخ باعلى صوتها:

«لا استطيع... لا استطيع الاستمرار معك».

وانتفضت لتبتعد عنه، فأثار هذا الأمر حفيظته، لذلك نهض واعادها بعنف اليه قائلاً:

«اتظنينني رجلاً مصنوعاً من الجليد؟».

ثم حاول ان يشدها بقوة مظهراً غيظ العاشق الذي تقطع عليه احلامه.

اما هي فكانت تشهق وتختلج كطفلة مذنبة ترتعد خوفاً امام اب قاس. لكنها تابعت والدمعة تبلل وجنتها:

«لا استطيع يا برودي. حاولت ذلك لكني لا استطيع».

ساد صمت عميق بينهما في الغرفة، ثم وقف برودي قبالتها يتفحص معالمها والشرر يتطاير من عينيه فهمست بصوت مأسوي:

«اعذرني يا برودي».

لم يكن يدري على ماذا سيعذرها، فلقد اختلط الأمر عليه ولم يعد يفهم شيئاً. لماذا خلعت ثيابها ولبست المئزر؟ الم تفعل ذلك بغية اثارته؟

واراد ان ينهي هذه المسرحية الغريبة، فبادرها بلهجة قاسية:

«كفى! انتهى كل شيء».

نهضت ومشت بخطى مثقلة نحو الخزانة، اخرجت منها ملابسها مطرقة الرأس، مخذولة وكأنها تتمنى ان تنشق الأرض وتبتلعها. ثم سألته بصوت حزين:

«ارجوك ان تعيدني الى البيت».

«هيا ارتدي ملابسك».

وسبقها الى الخارج.

دقيقتان فقط لحقت به جاسيكا ودخلت السيارة.

بالقرب منها، وعلى المقعد الامامي، رأت الظرف الذي كتب عليه اسمها، تناولته واعادت المفتاح اليه ووضعته داخل الحقيبة. لم ينظر اليها طيلة الطريق، ولا مرة واحدة، وكانت معالم الشراسة واضحة على وجنته، فتأكدت انه اسقطها نهائياً من حساباته.

عندما توقف امام مبنى شقتها، ترددت جاسيكا لبضع ثوان محاولة ان تقول اي شيء. اما هو فلم يلتفت باتجاهها، بل ظلت يداه مثبتتين على المقود وبصره شارد في البعيد.

ترجلت، فلم يكلف نفسه ان يغلق الباب وراءها، بل انتظرها لتفعل ذلك بنفسها. ورددت في سرها:

انتهت الرحلة فقد خرج برودي من حياتي الى الأبد.

١٢- دائرة الزواج

مضت ثلاثة اسابيع على رحيل برودي، لكن جراح جاسيكا لم تبرأ. كانت تجلس حزينة، تتساءل ان كان هذا هو قدرها، ان تنزوي وحيدة وتنزف الى الابد؟

كانت الايام تبدو طويلة مثقلة بالهموم، تجمد فيها الوقت وتجمدت الدموع في عينيها، واصبح الليل عدواً لدوداً ينخر عظامها، ويشد جفنيها، ويحرم عليها لذة الرقاد.

استلقت، تلك الليلة، مرهقة على الاريكة، وصور الماضي تتزاحم في رأسها، تنهشها التساؤلات وتزرع اليأس في قلبها، فتتساءل ان كان عليها ان تسلك طريقاً آخر مع برودي!

لو لم تستسلم لمغامراته العاطفية هل كانت تبدلت العلاقة؟

هل تراها استعجلته لطلب يدها؟ وهل تراها اتبعت الطريقة الافضل لاستمالة الرجل وجذبه الى دائرة الزواج؟

لقد باتت قصتها مكشوفة الآن، بعد ان لاحظ الجميع هزالها المفاجىء، ولفت انتباههم شحوب وجهها وتبدل مزاجها، وبنوع خاص، خالها وسركتيرة المكتب. لقد عرفا سر تبدل جاسيكا المفاجىء، وكيف تحولت تلك الفتاة المرحة المرهفة اللطيفة المثابرة، المتوثبة الذهن، الى انسان عصبي تثيره ابسط الاشياء وأتفهها. لذلك بدأت علاقتهما بها تتحول الى نوع من الشفقة، وراحا يسديان اليها المواعظ. . . الامر الذي كان يزيد عصبيتها ويعكر مزاجها!

كان جرس الهاتف يرن بالحاح لكن جاسيكا لم تكلف نفسها مشقة الجواب.

كانت الساعة تشير الى السابعة حين رفعت السماعة، ولفظت بصوت متهدج، وكأنه انين انسان منازع:

«الو».

لا جواب على الطرف الآخر. همس متنكّر لا يقوى على البوح بسره.

قفز قلبها من صدرها فرددت من جديد:

«الو».

لكن الصوت الهامس اكمل همسه، وتمتم:

«هل انت جاسيكا ثورن؟»

«من؟ برودي».

حضنت السماعة بيديها وكأنها تريد معانقة محدثها على الطرف الآخر. لكن الصوت، اجاب متلعثماً:

«عذراً، لقد اخطأت».

واقفل.

كانت تعلم انه برودي، قلبها ينبئها بذلك، والقلب لا يخطىء.

صرخت به:

«برودي... اسمعني!».

لكن كلماتها لم تصل اليه، فاعادت السماعة الى مكانها، وارتمت على الاريكة حزينة، واغرورقت عيناها بالدموع. انها المرة الاولى التي تشعر بها بحاجة الى البكاء، لذلك راحت تشهق مثل طفل صغير. قضت تلك الليلة ساهرة في فراش ينخزها كالاشواك.

تلك السنة اقبل الصيف حاراً اكثر من المعتاد، وكأن الطبيعة ارادت ان تزيد الثقل على قلب جاسيكا. فقد كان المكيف الكهربائي معطلاً في مكتبها لذلك اخذت غلاف مجلة وراحت تستخدمه كمروحة تعيد اليها انفاسها. دقائق ثم خرجت من غرفتها غاضبة وراحت تصرخ بالسكرتيرة:

«لم اعد اطيق غرفتي الخانقة. متى سيأتي الكهربائي ليصلح المكيف؟».

«وعد انه سيأتي ظهراً».

نظرت جاسيكا الى ساعة يدها. وقالت بغضب ظاهر.

«انها الثانية عشرة الا عشرين دقيقة. متى يأتي؟».

«هل تريدين ان نتصل به مرة ثانية؟

«اجل. اتصلي به، وقولي له اذا تأخر عن موعده سوف...».

كانت جاسيكا في ذروة غضبها، لذلك لم تستطع ان تكمل عبارتها لشدة اضطرابها. وبينما هي في اوج ثورتها، سمعت صوت رجل يمازحها قائلاً:

«قد يكون من الانسب ان يأتي بعد الظهر، ان حرارتك مرتفعة اكثر من اللازم هذه الايام».

وراح الرجل يقهقه بمرح. لكن جاسيكا، ردت على الضحكة

بزيادة انفعالها، رغم ان الرجل لم يكن سوى خالها، ورب عملها. فتجهم وجهها اكثر، وعلت جبينها تجاعيد قاتمة. دنا منها خالها باسماً وقال:

«جاسيكا، ماذا اصابك؟ اين نكاتك الطريفة؟»

«تبخرت في هذا المكتب العفن».

فاسترسل خالها بضحكة محاولاً ان يلطف خاطرها، لكنها بدل ان تهدأ ارتفع صوتها اكثر وقالت له:

«اضحك فان الأمر لا يعنيك. ففي غرفتك مكيف من اجود الانواع. وانت لا تشعر بالحر».

«هذا امر طبيعي. فانا صاحب الشركة».

كادت جاسيكا ان تجهش بالبكاء وهي تصرخ بوجه خالها:

«بامكانك ان تأخذ شركتك، مكيفك، وكل ما تريد...».

لكنه تدارك الموقف فاقترب منها ووضع يده على كتفها بدفء وقال:

«مهلاً يا عزيزتي. ربما اسأت اليك. صدقيني اريد ان اكفر عن ذنوبي. اني ادعوك لتناول الغداء في مطعم فخم يكون فيه مكيف للهواء».

وبصعوبة كبحت جاسيكا جماح غيظها وقالت لخالها:

«ان كنت تعتقد اني سأرفض، فأنت مخطيء. ثم لا تنس ان آن شاهدة عليك ولن تستطيع ان تنكث بوعدك».

«انا لا احلم. ودعوتي ليست للمجاملة».

واقترب، ناحية السكرتيرة مضيفاً:

«ان سأل احد عني قولي له اني اتناول الغداء مع فاتنة شقراء. الا اذا اتصلت زوجتي فقولي لها اني اتغدى مع جاسي».

«دعني احضر حقيبة يدي».

شبك يده بذراعها وتوجها الى سيارته.
«الى اين تريدين ان نذهب؟».
«لا فرق عندي، الى اي مكان شرط ان يكون مكيفاً».
في الطريق بدأ خالها الحديث بقوله:
«اني فخور بك يا جاسيكا».
فاجابته وقد شغلتها ملاحظته عن تأمل المناظر عبر زجاج السيارة.
«أصحيح ما تقوله؟ انا لا اتذكر اني فعلت اي شيء يستحق مثل هذا المديح».
«انا لم اقصد عملك في المكتب. على العكس انا فخور بشخصيتك القوية، وبقدرتك على مواجهة المصاعب. فمنذ شهرين كنت تبدين على عتبة انهيار عصبي».
دخل كلامه الى قلبها واحدث فيها هزة، لانها لم تكن تتوقع هذا التلميح المباشر عن علاقتها الفاشلة مع برودي، لذلك ادارت وجهها نحو زجاج السيارة، واغمضت عينيها، ثم تمتمت:
«ان الزمن قادر ان ينهي اصعب القصص».
«اني ادرك مدى صعوبة كلام الآخرين، وحدة سهامهم. اعذريني ان كنت قد قسوت عليك، او ارهقتك بالمواعظ. لم اكن ابغي الا خيرك».
«اني اقدر لك توجيهاتك، ولن انسى فضلك ابداً».
وراحت تسترجع الماضي، وتتذكر الصدمة التي كادت تدمر حياتها، وكيف استدعاها خالها الى مكتبه، بعد شهرين من التمزق، وراح يستفسر عن ضياعها وعن اسباب خلافها مع برودي، فاطرقت صامتة ولم تكن قادرة على ان تشرح. وحين فهم ان الاجوبة على اسئلته مستحيلة، تحدث اليها ببساطة، وحنان قائلاً:

«اذا لم يعد هنالك اي مجال للتلاقي، اريدك ان تطوي هذه الصفحة من حياتك وتنسيه الى الابد».
بدا الاقتراح لاذعاً، رغم واقعيته، فشعرت جاسيكا ان الحياة تضع الناس امام الاختيارات الصعبة، وتفرض عليهم عملية الاختيار...
ايقظها خالها من شرودها بقوله:
«ها قد وصلنا».
فترجلت لتتعرف الى المكان الذي اصطحبها اليه:
«يا الهي».
واحست ان قلبها يعتصر. انها محطة القطار التي دعاها برودي اليها من قبل. وشعرت بالرغبة في الابتعاد عن هذا المكان. تمنت لو يصطحبها خالها ان يصطحبها الى مطعم آخر، ولكن كيف تبرر له هذا التمني؟ ايليق بها ان تواجهه بالحقيقة، وهي اضعف من ان تقف على الاطلال وتبكي على الذكريات الماضية؟
الم تعلمها التجربة ان الوقوف عند الرصيف قرب مبنى شقتها، محاولة يائسة لن تعيد اليها الحبيب؟
الم تستفق اخيراً من اوهامها، فتعلم انه من العبث الالتفات الى كل سيارة فخمة، ظناً منها ان برودي قد يكون في داخلها؟
مشت الى جانب خالها مرتعشة، فكل خطوة في هذا المكان تذكرها بلحظات السعادة التي لن تعود.
وبينما هي غارقة في الذكريات، ارتفع صوت قريب ينادي خالها.
«رالف! كيف حالك؟».
وقف رجل عن كرسيه لكي يرحب بهما، وللحال تعرفت عليه جاسيكا. انه كال جانسون. فهي لم تجتمع به منذ اختلافها مع برودي. لقد تهربت اكثر من مرة من التحدث اليه عندما زار مؤسسة

خالها لتصريف بعض الاعمال. وتساءلت هل سينضم اليه احد من القيمين عن شركة «جانسون للمراكب».
دنا خالها من جانسون وردّ عليه التحية.
«كيف حالك يا كال؟ هل الاشغال على ما يرام؟».
«كل شيء بالف خير».
ثم التفت نحو جاسيكا، واضاف:
«جاسيكا انك تزدادين جمالاً».
«شكراً لك».
ثم تمتمت في قرارة نفسها: ارجو الا يأتي على ذكر برودي. لكن جانسون تابع حديثه مازحاً:
«كلما رأيتك اشعر باني عدت عشر سنين، او عشرين سنة الى الوراء. بالمناسبة سوف اتصل ببرودي الآن، واقول له انكما بضيافتنا على العشاء. بما اني التقيتكما الآن، فالصدفة خير من الميعاد. يسعدني ان ادعوكما الى العشاء...».
تمالكت جاسيكا انفاسها، وضبطت اعصابها، حين علمت ان برودي موجود في المدينة، وارادت ان تفهم جانسون بان العلاقة انتهت مع برودي، لكنها لم تستطع الكلام من شدة الانفعال، فتابع الرجل حديثه قائلا:
«اعلم ان برودي يستمتع بلقياك، ولا احد غيرك يستطيع اقناعه بتلبية دعوتنا، فهو كثير الاشغال دائم الاسفار!».
«ولكن...»
. قاطعها جانسون:
«ها هو يأتي صدفة، وسنحاول ان نقنعه معاً».
كاد قلبها ان يتوقف، واعتلى الشحوب وجهها النضر، حين ابصرت برودي يشق طريقه بين الطاولات واثق الخطى مرفوع

الرأس. كان يبدو في ذروة جماله واناقته، بعد ان سرح شعره بطريقة جديدة، واختار كعادته افخر الملابس واجملها.
واحست جاسيكا بقدرته تقطع مفاصلها، وتسرق انفاسها من ضلوعها. لم تكن مستعدة للمواجهة. فتمنت لو تغيب عن المكان بقدرة سحرية.
كانت عيناها شاخصتين به، ولا تستطيع ان تبتعد عنه لحظة واحدة، ويأكلها سؤال مبرح:
ماذا يجول في خاطره الآن؟ ما هو شعوره في هذه اللحظة؟ ماذا تراه سيفعل؟
حاولت جاسيكا، عبثاً، ان تعرف مشاعر برودي، او ان تكشف احاسيسه من خلال تقاسيم وجهه، لكنه لم ينظر اليها، لم يحيها، بل تعمد اللامبالاة وكأنها انسان غريب يلتقي به للمرة الاولى.
ووسط دهشتها، رحب جانسون ببرودي قائلاً:
«انها صدفة رائعة حقاً. انظر بمن التقيت منذ لحظات».
لم يكترث برودي لكلام جانسون، ورد بصوت جاف، دون ان يلقي التحية على جاسيكا، او حتى ان ينظر اليها:
«اعتذر لقد تأخرنا في بلتمور».
اصيب جانسون بالذهول، وراح يحدق تارة ببرودي، وتارة اخرى بجاسيكا، ويكاد لا يصدق ما يرى، فهو لم يتوقع ان يلتقي الحبيبان مثل الغرباء. ووسط دهشته قال لبرودي:
«لقد انتظرتك طويلا، وقلت لجاسيكا انكم...»
قاطعه برودي مجدداً:
«لو تأخرنا انا ودرو بضع دقائق لسبقتنا الطائرة».
ثم جلس الى المائدة بدون ان ينظر الى جاسيكا، التي شعرت بانها اصيبت في الصميم، وبأن كرامتها قد اهينت، واحست باعين

الجميع تنصب عليها، وتكاد تعريها من ثيابها. وفي ذروة غضبها، وقع بصرها على كوب ماء مليء بقطع الثلج، فتناولته، وبحركة لا شعورية افرغته على رأس برودي!

لم تنتظر ردة الفعل، بل ادارت ظهرها، وخرجت، وسط ذهول الحضور ووشوشاتهم.

كانت تسير مسرعة الخطى، لتقطع الممر الفاصل بين المطعم والطريق، ويبدو لها انها تعبر ممر الالم، لتصل الى ضفة الامان، بعد ان شفت غليل قلبها. لكنها احست فجأة بيد فولاذية تطبق على ذراعها، وتسمرها في مكانها. التفتت فوجدت برودي يقف احمر العينين غاضباً، والزبد يملأ فمه، وتكاد اصابعه العنيفة تحطم عظامها.

صرخت به:

«اتركني!».

فرد بعنف، وهو يطبق اسنانه، بغضب ظاهر.

«اخرسي!».

حاولت جاسيكا ان تتخلص من قبضته، بلا جدوى فراحت تصرخ:

«اتركني، اتركني، والا طلبت من مدير المطعم ان ينادي الشرطة».

كانت تحاول ان تتخلص من قبضته، ولكنها في قرارة نفسها تشعر بوطأة عينيه. اخذها بحركة عنيفة واسكنها.

ابتعد عنها قليلاً، ثم دفعها امامه باتجاه المخرج، الذي كانا على مقربة منه. وبينما هو يدفعها بقوة، سمع صوتاً يصرخ به:

«بالله عليك يا برودي، ماذا تراك تفعل؟».

تطلع واذا درو، مدير اعماله يحاول ان يحد من تصرفه الهمجي،

ويعيده الى صوابه. لكن برودي الغاضب، لم يسمع بل تابع سيره وهو يقول:

«اليك عني!».

«ماذا دهاك يا رجل؟ انت تستحق كوب الماء البارد على رأسك على كل حال. كيف يمكنك ان تتصرف هكذا مع الناس؟!».

ثم ارسل درو نظرة قلقة صوب جاسيكا، وقال لبرودي بلهجة الأمر.

«اتركها وشأنها!».

«قلت لك ابتعد عن طريقي!».

«تريدني ان ابتعد عن طريقك. الى اي حد؟ ربما تريدني ان ابتعد نهائياً؟ هل تريد استقالتي؟ هل هذا ما كنت تبحث عنه خلال الاشهر الماضية؟».

«بصراحة يا درو لا فرق عندي. يمكنك ان تفعل ما يحلو لك».

وبحركة من يده، دفع برودي درو من امامه، وتابع سيره، وجاسيكا معه، باتجاه الباب الخارجي.

كان يسير بخطوات سريعة وكانت جاسيكا تركض كي تبقى بمحاذاته. فسألته:

«الى اين نحن ذاهبان؟».

«اخرسي!».

وتابع خطواته المسرعة وهو يجرها وراءه حتى وصلا الى السيارة. فتح الباب، ودفعها الى الداخل فجلست تتحسس موضع يده على ذراعها، وكانت تشعر بالم مبرح.

جلست بصمت وكآبة، بينما كان برودي يقود السيارة بصمت غاضب. وسرعان ما ادركت انه يتوجه بها نحو شقتها.

توقفت السيارة امام المبنى. ترجل برودي، ثم فتح الباب من جهة

جاسيكا امسك بذراعها من جديد محاولاً ان يدفعها بالقوة الى الخارج. فعضت على شفتيها مبدية اعتراضها لكنه لم يبال.

عند الباب، فتح حقيبة يدها بالقوة واخرج المفتاح... وضعه بالقفل بعنف ثم ادخلها امامه ولحق بها ثم اقفل الباب غاضباً.

خطت خطوتين داخل الغرفة، ثم توقفت، وراحت تقضم اسنانها من شدة الغيظ، ثم تطلعت نحوه وصرخت به بقوة:

«ماذا بعد؟ ما هي الخطوة التالية؟ هل تريد ان تهاجمني؟».

كان صوتها يضج بالتحدي، لذلك ادار برودي وجهه عنها قليلاً، وضع انامله في شعره وهتف بصوت عالٍ:

«لعنك الله يا جاسيكا».

«لعنني الله. انا؟

واطلقت ضحكة ساخرة وتابعت:

«لعنك الله انت لانك تجاهلت وجودي!».

اقترب منها. وضع يده حول عنقها، فكاد يخنق الكلمات ثم قال:

«كان عليّ اما ان اقتلك، او ان اتجاهل وجودك. كان بامكاني ان اقتلك بسبب ما فعلته بي وبعد ان اتأكد من موتك اقتل نفسي».

كان صوته جازماً، ونبراته حادة، وانامله تطبق بحزم على عنقها، ورغم ذلك لم تشعر جاسيكا بالخوف، بل سألته بكل جرأة:

«لماذا؟».

«لقد حاولت كل شيء لكي اقصيك عن ذهني، لكي ابعد طيفك عني، والتخلص منك لكن عبثاً كنت احاول بقوة، لكنك كنت تسيطرين عليّ بقوة اكبر، فأسقط امامك مثل طفل صغير، اتعلق بتفاصيل ذكرياتك، برائحة ثوبك. لعنك الله، ولعن ذكرياتك...».

انحنى قليلاً على عنقها وعانقها.

«هل حقاً تريدني انا؟».

«يا الهي. كيف تسألين؟ منذ اليوم الذي عرفتك، سرقت قلبي، وجميع حواسي، ولم يعد بمقدوري التفكير باحد سواك».

فوجئت بكلماته. لم تكن تتوقع ان تسمع منه هذا التصريح. لذلك شعرت بصدمة، وحاولت ان تستجمع انفاسها، وتسيطر على افكارها. فتمتمت:

«ماذا؟».

ووسط ذهولها، اخذ وجهها بين يديه، وهمس بحنان:

«انت امرأة بلا قلب. لم يؤثر فيك لا قلبي، لا حبي، ولا رجولتي...».

«برودي هل تحبني؟ هل حقاً تحبني؟».

كانت بحة صوتها تشبه انين عصفور، فأحس برودي بصدقها، فرد:

«لا تدّعي انك كنت تجهلين حقيقة شعوري نحوك. لقد امضيت في الجو من اجلك، ساعات طويلة كانت كافية لانجز اضخم مشاريعي. لا احد يفعل ذلك ان لم يكن يشعر بالحب».

«ولكني كنت اعتقد... ان جوردانا!».

كانت جاسيكا مضطربة جداً، فلم تعد تعرف لا كيف تفكر، ولا بماذا تجيب حين رد برودي مستغرباً، نافياً اية علاقة بينه وبين جوردانا:

«شقيقتك؟ يا الهي!».

«كنت اعتقد انك تريدني فقط من اجلها».

«تعنين، لاني كنت على علاقة سابقة بها؟».

«الم تقل لي بأني اذكرك بها...».

وتابعت جاسيكا.

«ثم، تلك الليلة، حين التقيتها هنا، كنت تحدق بها طوال الليل».

«تلك الليلة كنت اشعر بالمرارة لانك لم تكوني تريدين وجودي بينكم. لم اكن اعلم اين كنت اتطلع. ربما كنت اتطلع الى جوردانا. لكني كنت احاول ان افهم ما الذي شدني اليها، في زمن الصبا. هل كنت تشعرين بالغيرة؟».

«كنت احترق غيرة». ردت جاسيكا ببساطة.

«يا الهي. كنت اعتقد انك رفضت وجودي لانك كنت تعتقدين بأني لست من مقام اسرتك!».

«كلا يا برودي! كيف يمكنك ان تفكر بهذه الطريقة؟».

ثم اخذت يده بيدها، وشدت على معصمه، واطلقت ابتسامة ناعمة من ثغرها. فشد برودي على يدها، وقال:

«ربما هي عقدة النقص التي كبرت في صدر الفتى «الشرير» القادم من الجهة الفقيرة من المدينة لقرع باب آل ثورن الاغنياء، فيقفلون الباب في وجهه. اما بما يتعلق بجوردانا، ربما عندما التقينا في المرة الاولى، اردت ان اخرج معك بسببها. لكي انتقم من فتاة بورجوازية رفضت الخروج معي في الماضي. لكن صدقيني بعد لقائنا الثاني تبدل كل شيء. ولم يعد للقاءاتنا اي علاقة بموضوع الانتقام...».

بينما كان برودي يتكلم، كانت جاسيكا تدنو منه رويداً رويداً، حتى لاصقته فهمست بصوت خافت ينبعث من اعماق جوارحها:

«اني احبك يا برودي».

فطوقها بذراعه القوية، وطبع قبلة حارة على يدها، ثم قال، بصوت متساءل:

«اذا كنت حقاً تحبينني، لماذا جعلتنا نمر بهذه التجربة القاسية؟ لماذا رفضت ان تستسلمي لحبي؟».

«لأني كنت اعتقد، انك برفضي الاستسلام لرغباتك، قد تتزوجني. الحقيقة كنت اريد ان اكون زوجتك، لا عشيقتك. كنت اريد ان اشاركك حياتك لا ان اقاسمك السرير فقط».

«سوف يكون لك ما تريدين. اذا كانت الطريقة الوحيدة للحصول عليك هي بالزواج. فسوف اتزوجك».

نفرت جاسيكا قليلا الى الوراء، ثم قالت بحسرة ظاهرة:

«لماذا يا برودي؟ لماذا لا تريد ان تتزوجني؟».

«لسبب بسيط جداً، انظري حولك، انك تملكين كل شيء. كنت دائماً تملكين كل شيء: المال، الملابس الفخمة، المنازل الوثيرة، والمدارس الخاصة. عندك كل شيء تحلم به فتاة».

لمع بريق حزين في عينيه لاحظته جاسيكا فحدقت به، وقالت:

«المال؟ هل هذا هو سبب عدم رغبتك بالزواج؟ اي فرق بالنسبة اليك. انت غني جداً، وبامكانك ان تؤمن لي افضل سبل العيش، فماذا تخشى؟».

«نعم، انا املك المال اليوم، ولكن غداً من يدري، قد اخسر كل شيء. انها مجرد لعبة حظ بالنسبة الي».

«المال لا يعني لي اي شيء. انا لا يهمني ان كنت ثرياً ام لا. انا احبك».

رد برودي بهدوء:

«انه كلام جميل، لكنك لا تعلمين ما معنى ان يعيش الانسان بلا مال. عندما يأتي ذاك النهار تكتشفين ان الحب وحده لا يكفي».

ردت جاسيكا بحزم:

«بلى انه يكفي. ربما الحب ليس كل شيء، لكنه كاف بالنسبة

لي. طيلة اشهر غيابك، كنت اجلس وحيدة في البيت، كانت جميع المجوهرات التي اهديتها اليّ معي، لكنها لم تكن تعني لي اي شيء، لاني كنت عاجزة عن الحصول عليك. لقد قلت لي مرة: ماذا ينفع المال اذا كنا لا نستطيع ان نتقاسمه مع من نحب. ولكن بلا مال يمكنك ان تتقاسم الحب مع من تحب!».

كانت تريد ان تتابع كلامها. لكن برودي اخذها بين ذراعيه، واسكتها بأجمل الطرق.